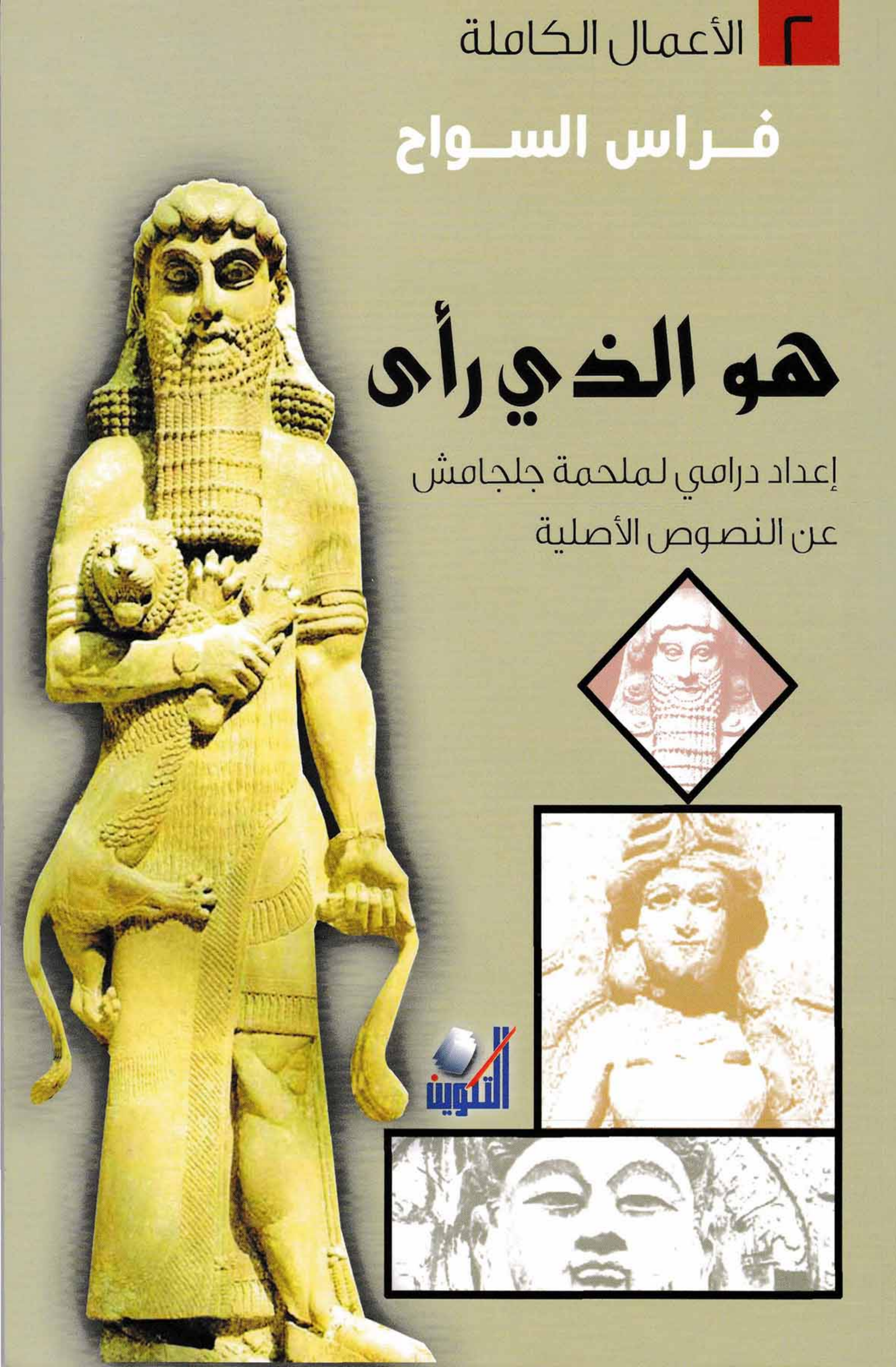


٢ الأعمال الكاملة
فـــراس الســـواح
هو الذي رأى
إعداد درامي لملحمة جلجامش
عن النصوص الأصلية
التكوين

هو الذي رأى

الطبعة الأولى 2016

هاتف: 00963 112236468
فاكس: 00963 112257677
ص. ب: 11418 ، دمشق ـ سوريا
taakwen@yahoo.com

فراس السوّاح

هو الذي رأى

إعداد درامي لملحمة جلجامش عن النصوص الأصلية



مقدمة

لطبعة الأعمال غير الكاملة

عندما وُضعت أمامي على الطاولة في دار التكوين كومة مؤلفاتي الاثنين والعشرين ومخطوط كتابٍ لم يُطبع بعد، لنبحث في إجراءات إصدارها في طبعةٍ جديدة عن الدار تحت عنوان الأعمال الكاملة، كنت وأنا أتأملها كمن ينظر إلى حصاد العمر. أربعون عاماً تفصل بين كتابي الأول مغامرة العقل الأولى والكتاب الجديد «الله والكون والإنسان»، ومشروع تكامل تدريجياً دون خطةٍ مسبقة في ثلاث وعشرين مغامرة هي مشروعي المعرفي الخاص الذي أحببت أن أُشرك به قرائي. وفي كل مغامرة كنت كمن يرتاد أرضاً بكراً غير مطروقة ويكتشف مجاهيلها، وتقودني نهاية كل مغامرة إلى بدايةٍ أخرى على طريقة سندباد الليالي العربية. ها هو طرف كتاب مغامرة العقل الأولى ـ دراسة في الأسطورة يبدو لي في أسفل الكومة. أسحبه وأتأمله، إنه في غلاف طبعته الحادية عشرة الصادرة عام 1988 والتي عاد ناشرها إلى غلاف الطبعة الأولى الصادرة عام 1976 الذي صممه الصديق الفنان إحسان عنتابي، ولكن ألوانه بهتت حتى بدت وكأنها بلونٍ واحد لعدم عناية الناشر بتجديد بلاكاتها المتآكلة من تعدد الطبعات التي صدرت منذ ذلك الوقت. وفي حالة التأمل هذه، يخطر لي أن هذا الكتاب قد رسم مسار حياتي ووضعني على سكةٍ ذات اتجاهٍ واحد. فقد وُلد نتيجة ولعٍ شخصي بتاريخ الشرق القديم وثقافته وانكبابٍ على دراسة ما أنتجته هذه الثقافة من معتقدات وأساطير وآداب، في زمنٍ لم تكن فيه هذه الأمور موضع اهتمامٍ عام، ولكني لم أكن أخطط لأن أغدو متخصصاً في هذا المجال، ولم أنظر إلى نفسي إلا كهاوٍ عاكفٍ بجد على هوايته. إلا أن النجاح المدوّي للكتاب الذي نفذت طبعته الأولى الصادرة عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق في ستة أشهر، ثم تتابعت طبعاته في بيروت، أشعرني بالمسؤولية، لأن القراء كانوا يتوقعون مني عملاً آخر ويتلهفون إليه.

إن النجاح الكبير الذي يلقاه الكتاب الأول للمؤلف يضعه في ورطة ويفرض عليه التزاماتٍ لا فكاك منها، فهو إما أن ينتقل بعده إلى نجاحٍ أكبر أو يسقط ويؤول إلى النسيان عندما لا يتجاوز نفسه في الكتاب الثاني. وقد كنت واعياً لهذه الورطة ومُدركاً لأبعادها، فلم أتعجل في العودة إلى الكتابة وإنما تابعت مسيرتي المعرفية التي صارت وقفاً على التاريخ العام والميثولوجيا وتاريخ الأديان. وعاماً بعد عام، كان كتاب لغز عشتار يتكامل في ذهني وأعدُّ له كل عدّةٍ ممكنة خلال ثمانية أعوام، ثم كتبته في عامين ودفعته إلى المطبعة فصدر عام 1986، أي بعد مرور عشر سنواتٍ على صدور الكتاب الأول. وكان نجاحاً مدوياً آخر فاق النجاح الأول، فقد نفذت طبعته الأولى، 2000 نسخة، بعد أقل من ستة أشهر وصدرت الطبعة الثانية قبل نهاية العام ثم تتالت الطبعات.

كان العمل الدؤوب خلال السنوات العشر الفاصلة بين الكتابين، والذي كان لغز عشتار من نواتجه، قد نقلني من طور الهواية إلى طور التخصص، فتفرغت للكتابة بشكلٍ كامل ولم أفعل شيئاً آخر خلال السنوات الثلاثين الأخيرة التي أنتجتُ خلالها بقية أفراد أسرة الأعمال الكاملة، إلى أن دعتني جامعة بكين للدراسات الأجنبية في صيف عام 2012 للعمل كمحاضر فيها، وعهدت إلي بتدريس مادة تاريخ العرب لطلاب الليسانس ومادة تاريخ أديان الشرق الأوسط لطلاب الدراسات العليا، وهناك أنجزتُ كتابي الأخير «الله والكون والإنسان». على أنني أُفضّل أن أدعو هذه الطبعة بالأعمال غير الكاملة، وذلك على طريقة الزميلة غادة السمان التي فعلت ذلك من قبلي، لأن هذه المجموعة مرشحةٌ دوماً لاستقبال أعضاءٍ جُدد مازالوا الآن في طي الغيب.

وعلى الرغم من أنني كنت أخاطب العقل العربي، إلا أنني فعلت ذلك بأدوات ومناهج البحث الغربي، ولم أكن حريصاً على إضافة الجديد إلى مساحة البحث في الثقافة العربية، قدر حرصي على الإضافة إلى مساحة البحث على المستوى العالمي، وهذا ما ساعدني على اختراق حلقة البحث الأكاديمي الغربي المغلقة، فدعاني الباحث الأميركي الكبير توماس تومبسون المتخصص في تاريخ فلسطين القديم

والدراسات التوراتية إلى المشاركة في كتابٍ من تحريره صدر عام 2003 عن دار T & T Clark في بريطانيا تحت عنوان:

Jerusalem in History and Tradition

ونشرت فيه فصلاً بعنوان:

Jerusalem During the Age of Judah Kingdom

كنت قد تعرفت على تومبسون في ندوةٍ دولية عن تاريخ القدس في العاصمة الأردنية عمان عام 2001، شاركتُ فيها إلى جانب عددٍ من الباحثين الغربيين في التاريخ وعلم الآثار، وربطت بيننا صداقةٌ متينة استمرت بعد ذلك من خلال المراسلات، إلى أن جمعتنا مرةً ثانية ندوة دولية أخرى انعقدت في دمشق بمناسبة اختيار القدس عاصمةً للثقافة العربية، وكانت لنا حواراتٌ طويلة حول تاريخ أورشليم القدس وما يُدعى بتاريخ بني إسرائيل، واختلفنا في مسائل عديدة أثارها تومبسون في ورقة عمله التي قدمها إلى الندوة. وكان الباحث البريطاني الكبير كيث وايتلام قد دعا كلينا إلى المشاركة في كتابٍ من تحريره بعنوان:

The Politics of Israel's Past

فاتفقنا على أن نثير هذه الاختلافات في دراستينا اللتين ستُنشران في ذلك الكتاب، وهكذا كان. فقد صدر الكتاب الذي احتوى على دراساتٍ لباحثين من أوروبا وأميركا عام 2013 عن جامعة شيفلد ببريطانيا، وفيه دراسةٌ لي عن نشوء الديانة اليهودية بعنوان:

The Faithful Remnent and the Invention of Religious Identity

خصصتُ آخرها لمناقشة أفكار تومبسون، ولتومبسون دراستان الأولى بعنوان:

What We Do And Do Not Know About Pre-Hellenistic Al-Quds .

والثانية خصصها للرد عليّ بعنوان:

The Literary Trope of Return - A Reply to Firas Sawah.

أي: العودة من السبي كمجاز أدبي ـ رد على فراس السواح.

الكتاب يُشبه الكائن الحي في دورة حياته، فهو يُولد ويعيش مدةً ثم يختفي ولا تجده بعد ذلك إلا في المكتبات العامة، ولكن بعضها يقاوم الزمن وقد يتحول إلى كلاسيكيات لا تخرج من دورة التداول. وقد أطال القراء في عمر مؤلفاتي حتى الآن، ولم يختف أحدها من رفوف باعة الكتب، أمّا تحوّل بعضها إلى كلاسيكيات فأمرٌ في حكم الغيب.

فإلى قرائي في كل مكان أُهدي هذه الأعمال غير الكاملة مع محبتي وعرفاني.

فراس السواح

بكين، كانون الثاني - يناير 2016

مقدمة

ملحمة جلجامش، أول قصةٍ في الأدب الإنساني، وهي عبارةٌ عن نصٍ شعري طويل منقوش باللغة الأكادية البابلية على اثني عشرة رقيماً فخارياً عُثر عليها في مكتبة الملك الآشوري آشور بانيبال (668-633 ق.م) في العاصمة نينوى. وهي تروي عن حياة وأعمال الملك جلجامش الذي حكم أوروك، كبرى المدن السومرية في القرن السابع والعشرين قبل الميلاد، وذلك بطريقةٍ يمتزج فيها التاريخ بالأسطورة والمرويات الشعبية. وقد لقيت الملحمة منذ اكتشافها في أواسط القرن التاسع عشر عناية الباحثين الغربيين، فتُرجمت إلى جميع اللغات الأوروبية، وقُدمت للجمهور على شكل عروضٍ مسرحية وعروض رقصٍ تعبيري، وكُتبت فيها عشرات المؤلفات وما لا يُحصى من المقالات النقدية والأبحاث الأكاديمية.

ولقد شغلني جلجامش سنين طويلة. ففي عام 1981 أنجزت ترجمتي الأولى للملحمة اعتماداً على نص الباحث الأميركي lexander Heidel، ودفعتها للنشر في بيروت تحت عنوان "ملحمة جلجامش ـ ترجمة وتقديم"، فصدرت في ثلاث طبعات. وخلال السنوات التالية حصلت على ترجمات إنكليزية أخرى، ومن خلال دراستها كنت أتحسس المعاني العميقة للنص ورسالته التي أراد نقلها إلينا، فعكفت على إعادة صياغة نصي السابق، مسترشداً بما وصلني من هذه الترجمات، وكتبت دراسةً في جماليات الملحمة ورسالتها، ودراسةً أخرى حول أثر الملحمة في ثقافات العالم القديم، وقدمت ذلك كله في كتاب ثانٍ تحت عنوان: "كنوز الأعماق ـ قراءة في ملحمة جلجامش ، صدر عام 1987 في طبعة من عشرة آلاف نسخة، كما أراد الناشر في ذلك الحين، نفدت في أقل من ثلاثة أعوام. وفي عام 1996 دفعت إلى الناشر كتابي الثالث تحت عنوان: "جلجامش ـ ملحمة الرافدين الخالدة"، وهو يحتوي زيادةً على الكتاب الثاني على مقدمةٍ طويلة في تاريخ بلاد الرافدين، وفصل في تاريخ الملحمة وتطورها خلال أكثر من ألف عام، وملحق يحتوي على إعداد درامي للنص. وفي عام

2016، عندما كنت أُعدُّ مع دار التكوين لإصدار طبعة الأعمال الكاملة لمؤلفاتي في 23 مجلداً، ارتأيت إصدار الإعداد الدرامي عن الكتاب بشكل مستقل تحت عنوان: "هو الذي رأى ـ إعداد درامي لملحمة جلجامش".

في إعدادي الدرامي لم أقدم رؤيةً خاصة للنص أو إسقاطاتٍ فكرية وفلسفية معاصرة، على ما درج عليه بعض المؤلفين الذين استلهموا المسرح الإغريقي القديم، بل لقد قدمت النص الأكادي كما هو وبجميع أفكاره وشخصياته وتتابع أحداثه، مع إضافة عددٍ من المشاهد غير الموجودة فيه، وذلك لضرورات فنية من جهة، ولتوسيع الفضاء المحيط بالحدث من جهةٍ ثانية. ولكن إعدادي الدرامي لا يخلو في الوقت نفسه من بسط تفسيري الخاص الذي أختلف فيه مع بقية الدارسين، والذي بسطته مطولاً في مؤلفي" كنوز الأعماق"، ومؤلفي الآخر "جلجامش ـ ملحمة الرافدين الخالدة". وقد استخدمت في التأليف لغةً ذات جِرسٍ شعري وإيقاع موسيقي يستحضر الجو الشعري الملحمي الأكادي. وبما أني قد قفزتُ فوق مواضع النقص والكسور في الرُقم الفخارية، وملأت بعض هذه المواضع بما يتلاءم وسير الأحداث اعتماداً على أُلفةٍ طويلة مع النص، فإن القارئ يستطيع أن يجلس في هدوء واسترخاء ويقرأ هذا الإعداد وهو مطمئنٌ إلى أنه سوف يجني ما كان يمكن أن يجنيه من قراءة النص الأكاديمي، ولكن بمجهودٍ أقل وبمتعةٍ أكثر.

على أن ترجمتي الأكاديمية كانت أسبق إلى الظهور على المسرح من إعدادها الدرامي. ففي عام 1999 جاء إلى المنطقة المخرج المسرحي الفرنسي العالمي باسكال رامبير يبحث عن نصٍ عربي للملحمة يتطابق مع نص عالم الأكاديات الفرنسي بوتيرو. وبعد اطلاعه على عددٍ من الترجمات العربية وجد ضالته في ترجمتي، فقدمها بالتعاون مع فريقٍ مسرحي سوري في قلعة دمشق في عرضٍ تجريبي رائع. وبعد عامين أعاد تقديمها في مهرجان أفينيون المسرحي العالمي بثلاث لغاتٍ هي العربية والفرنسية والإنكليزية، وثلاث مجموعاتٍ من الممثلين، سورية وفرنسية وأميركية، في عرضٍ دام أربع ساعات في الهواء الطلق، وكانت الترجمات تظهر على شاشاتٍ كبيرة يتابع عليها المشاهدون الحوار. وقد دُعيت عندها من قبل إدارة المهرجان لرؤية العرض ومتابعة بقية العروض.

في عام 2005 جاءت إلى سورية المخرجة الفرنسية كاثرين شاوب من مسرح الشمس بباريس، وهو أهم المسارح الفرنسية، من أجل تقديم ملحمة جلجامش في دمشق بالعربية وبفريقٍ مسرحي سوري. وكما فعل باسكال رامبيير من قبل، فقد اختارت نصي الأكاديمي وقدمت عرضاً مميزاً على خشبة المسرح العمالي بدمشق حاز على إعجاب المسرحيين السوريين. وعلى الرغم من إعجابي بهذه العروض الثلاثة، إلا أنني في هذا الإعداد الدرامي قدمتُ رؤيةً إخراجية مختلفةً تماماً ألخصها فيما يلي:

- يجب ان تُقدم المسرحية في الهواء الطلق، أو على مسرح تاريخي مثل مدرج بصرى أو بعلبك أو تدمر، أو على مسرحٍ ضخم.

- لايقل عدد الممثلين عن ثلاثين، بينهم كورسين عدد أعضاء كل منهما ثمانية، يقومان بالتعليق على الأحداث أو يقومان بدور الراوي إما بشكلٍ مشترك أو منفرد، فيجتمعان أو يستقلان وفق ما يقتضيه الحدث ورغبة المخرج. كما يقومان بإنشاد بعض المقاطع أو بأداء رقصاتٍ تعبيرية قصيرة، كما يقوم الممثلون الرئيسيون أحياناً بمثل هذا الأداء الراقص. ولكن على المخرج في الوقت نفسه ألا يجنح إلى إضفاء الطابع الاستعراضي أو الغنائي على العرض.

- تؤلف موسيقى خاصة للعرض، ولا بأس من الاستعارة أحياناً من الموسيقى العالمية، مثل مقطوعة نينوى المعروفة أو غيرها.

- تؤدى الأدورا بحيوية بالغة وتتصف المشاهد بالديناميكية حتى في مواضع الحزن أو التأمل.

- لا ضرورة للديكورات الكاملة ويُكتفى بعناصر بسيطة توحي بجو مكان المشهد.

- مثل هذه العروض تستغرق وقتاً طويلاً، ولذلك على المخرج ألا يتقيد بزمنٍ محددٍ للعرض الذي يمكن أن يطول لأكثر من ساعتين.

فراس السواح ـ ربيع عام 2016

شخصيات المسرحية

جلجامش: ملك مدينة أوروك السومرية

إنكيدو: رجل البراري وصديق جلجامش

كورس الرجال: عدد 6 على الأقل

كورس النساء: عدد 6 على الأقل

إنمركار: حاجب الملك

ننسون: إلهة ثانوية هي والدة جلجامش

مجموعة مجلس الشيوخ: عدد 10

آرورو: الإلهة الأم خالقة الجنس البشري. وتُدعى ننتو أيضاً

صياد شاب

أبو الصياد

سِنِمّار: معماري أوروك

خمبابا: وحش غابة الأرز

شَمَشْ: إله الشمس والعدالة، حامي جلجامش (صوت)

إنليل: إله العاصفة السومري (صوت)

إيا: إله الحكمة والأعماق المائية العذبة (صوت)

عشتار: إلهة الحب والخصب (صوت)

الرجل العقرب وزوجته

أوتنابشتيم: بطل أسطورة الطوفان الذي أنعمت عليه الآلهة بالخلود

زوجة أوتنابشتيم

أورشنابي: ملاح أوتنابشتيم

سيدوري: ساقية حان الآلهة

الفصل الأول

-1-

تفتح الستارة على اللحن الأساسي يدخل كورس الرجال وكورس النساء

كورس الرجال: هو الذي رأى كل شيء إلى تخوم الدنيا،

هو الذي عرف كل شيء وتضلع بكل شيء.

سيد الحكمة الذي سبر أعماق الوجود.

كورس النساء: مضى في سفر طويل، وبرَّحه الترحال،

عَبَر بحار الموت إلى حيث تشرق الشمس،

وجال أصقاع الأرض بحثاً عن الحياة.

كورس الرجال: رأى اسراراً خافية وعرف أموراً ماضية،

وجاءنا بنبأ عن أزمان ما قبل الطوفان.

هل من مثله ملك في أي وقت، في أي مكان؟

كورس النساء: ملك أوروك، ابن الإلهة ننسون.

كامل القوة متين البنيان

راعينا الوسيم، الحكيم الجنان.

كورس مشترك: ثلثاه إله وثلثه إنسان

ما لهيئة جسمه من نظير

وبالاسم جلجامش قد دُعي قبل مولده.

(عودة اللحن الأساسي... يتلاشى تدريجياً ليعلو قرع طبول بإيقاع خاص. يدخل قارعو الطبول ووراءهم المنادون، يختلط الكورسان مشكلين عامة أوروك في الأسواق)

المنادي الأول: كفاكم نوماً يا أهل المدينة.

لينهض شباب السخرة إلى أعمالهم،

فيجعلوا من أسوار أوروك أمنع الحمى،

ومن أبراج معابدها ذرى تناطح الغيوم،

ومن قصور الملك جلجامش أعجوبة الدنيا.

المنادي الثاني: لتمض نساء السخرة إلى الكروم،

فتعصر الأعناب خمراً للشاربين.

وعذارى الخدمة إلى القصور،

فتجعل من جنباتها متعة لسيدنا،

ومن بساتينها فتنة للناظرين.

المنادي الثالث: لتتهيأ من وقع عليها الاختيار،

يحف بها أترابها الأبكار،

فتتزين ولا تبخل بالماء والعطور،

لتغدو كاملة الحسن والبهاء،

فجلجامش في انتظارها عند المساء.

المنادي الرابع: ليَهُبَّ أبطال أوروك إلى ملاعب الصراع،

جلجامش في انتظاركم للمبارزة والقراع،

فمن خسر منكم مثواه الجحيم

ومن كسب روحه فدى أهله.

(أصوات اختلاط الحابل بالنابل، سياط تفرقع، نساء تصرخ، إيقاع الطبول مستمر. تتلاشى الأصوات والمؤثرات مع العودة التدريجية إلى اللحن الأساسي).

المكان، مجلس شيوخ مدينة أوروك. صوت جلبة تصدر عن اجتماع مغلق لعدد من الأفراد. تتلاشى الجلبة والحوارات الجانبية، بينما يرتفع صوت كبيرهم.

كبير الشيوخ: شيوخ أوروك، يا أحكم الرجال في سومر.

كلكم يعرف لماذا تنادينا لهذا الاجتماع،

بعد خلاف وفرقة وطول انقطاع.

دعونا نناقش الأمر الذي له التقينا،

ولنعرف عن سفائف الرعاع.

الشيخ الأول: صدقت يا كبير الشيوخ فلنبحث فيما يقال،

بأمر سيدنا المليك الحكيم،

الذي لم يقطع بأمر دون مشورة أو سؤال.

لقد تغير من زمن وتبدلت منه الأحوال.

الشيخ الثاني: إبن أوروك الذي يمضي في المقدمة يحمي الديار،

يصد عن رجاله، وكموج الطوفان الصاخب يهدم الأسوار.

جلجامش حامينا المؤتمن الأمين،

قد تغير من زمن وتبدلت منه الأحوال.

الشيخ الثالث: لا يترك جلجامش ابناً لأبيه،

سادراً في مظالمه ليل نهار.

الشيخ الرابع: لا يترك جلجامش بكراً لأمها،

ولا ابنة لمحارب أو زوجة لنبيل.

الشيخ الخامس: شبابنا ترفع له القصور،

حتى تناديهم القبور.

ونساؤنا تكد في الخدمة،

بلا كلل أو فتور.

الشيخ السادس: أبطالنا خصوم له في ساح النزال،

وأبكارنا متعة لسيد الرجال.

الشيخ السابع: ما الذي حل بجلجامش القديم؟

أي شيطان تلبَّسهُ، فلا يهدأ منه الخاطر

ولا يركن له جنان.

الشيخ الثامن: دائب الحركة ليل نهار،

مسهد الأجفان لمطلع الأسحار.

(جلبة بين الحضور، حوارات جانبية، غمغمة وأصوات متفرقة هنا وهناك)

كبير الشيوخ: دعونا لا نتسرع في اتخاذ القرار،

ولنمض إلى المعبد نستجلي المشيئة الغائبة،

فعند الآلهة حقيقة الأخبار.

الشيخ الأول: صواب، صواب

ففي السرعة الندامة،

وعند السماء خير الجواب.

(همهمة بين الحضور، أصوات موافقة وتأييد)

كبير الشيوخ: لقاؤنا في المعبد إذاً هذا المساء،

نصلي ونطلب العون من السماء،

عسى أن تسمع لنا الآلهة،

وتمدّ يد العون للرعية الضارعة.

الشيخ الثاني: وبعدها لكل حادث حديث،

ولن تعجز أوروك عن رد مليكها

إلى جادة الحق والصواب.

(الجلبة مرة أخرى، تتلاشى تدريجياً مما يوحي بفض المجلس)

(موسيقا طقسية توحي بجو المعبد. الكاهن الأكبر يشعل الشموع أمام المذبح ويحرق البخور، يدير ظهره للشيوخ الذين يدخلون قدس الأقداس بخشوع. بعد فترة صمت يستدير الكاهن نحو الشيوخ وعيناه تحدقان في الفراغ).

الكاهن الأكبر: أتيتم لاستخارة المشيئة الخافية،

بشأن جلجامش الحكيم،

نسل البشر والآلهة.

كبير الشيوخ: ولدته الإلهة ننسون، سيدة الحكمة،

لأبيه «لوجال بندا» أعظم الملوك.

بيده قطع حبل سرته،

فمن يقدر اليوم على صده؟

الكاهن الأكبر: يصده ند له قدير.

لم يولد من رحم امرأة،

لم ينم في مهد ولم يرفل في الحرير.

الشيخ الثالث: لنُصلِّ إذاً إلى آرورو،

ننتو الأم الوالدة،

لتجعل في وجه جلجامش نداً قديراً.

الجميع بصوتٍ واحد: أي آرورو العظيمة،

أنتِ يا من خلقتِ جلجامش

اخلقي الآن نداً لملك البلاد،

يعادله صخباً في الفؤاد،

فيدخلان في تنافس دائم،

وتهدأ خواطر العباد.

(فاصل موسيقي. اللحن الرئيسي).

بيده الحياة والموت وأحكام القدر.

إذا تهشُّ لهم تعطي الأمل،

وإن عبستَ فأين المفر؟

جلجامش: إلهٌ أنا إذاً، إلهٌ أنا!

(بسخرية ومرارة) أصنع الخير وأصنع الشر!

إلهٌ أنا؟ كيف؟ ومصيري مثلهم

أقضي في التنهد والنحيب،

ولا أستطيع دفع مصيري القريب.

إنمركار: سيدي ومولاي...

جلجامش: أصمت إنمركار، اصمت.

أبي أعظم الملوك، وأمي الربة ننسون،

ولكني إنسان تتربص به المنون.

أمرت بالموت لأعرف معنى الحياة،

وأمرت بالحياة لأُدركَ كنه الموت.

ولكن باطل الأباطيل، الكل باطل،

وكل أعمالنا حائل زائل.

صنعت لنفسي قصوراً وجنات،

وزرعت فراديس من نخيل وأعناب،

فإذا الكل باطل وقبض الريح،

أتركه لبعدي سامق البنيان،

وأمضي وحيداً إلى عالم النسيان.

(يرتفع لحن الناي ثم يتلاشى تدريجياً. يخرج جلجامش بخطوات متثاقلة بطيئة بينما يدخل الكورس. يُظلم المسرح. ضوء على الكورس. اللحن الرئيسي).

كورس الرجال: آرورو الأم الكبرى الحنون،

صنعت البشر من حمأ مسنون.

بعون إنكي إله الماء،

وأعطتهم الروح بإذن السماء.

كورس النساء: نزلت عن عرشها الوضاء،

جالت في الفلاة وقلبت الأرجاء،

ثم اغترفت قبضة من طين وماء،

تلت عليها كلماتها ورمتها في العراء.

الكورس المشترك: وهكذا خُلق إنكيدو....

يكسو الشعر جسمه وجدائل رأسه

كشأن النساء.

سامق الهامة فارع القامة.

لا يعرف الناس ولا البلدان.

يرعى الكلأ مع الغزلان.

يَرِدُ النبع مع الحيوان.

ومع البهيمة يفرح قلبه عند الماء.

(فاصل موسيقي خاص للمشهد التالي. تدخل آرورو. الخلفية معتمة وبقعة الضوء مسلطة عليها. تقوم برقصة طقوسية هادئة).

آرورو: أنا آرورو، أنا أم الأحياء،

أنا الأرض، أنا الخصب،

أنا أصل البقاء.

من رحمي يخرج كل ذي نفس،

وإليه يؤوب أهل الفناء.

(فاصل موسيقي)

(توجه صولجانها نحو نقطة قريبة، يسلط ضوء آخر على المكان الذي أشارت إليه. إنكيدو متكور على نفسه في كتلة غير متمايزة).

إنهض يا إنكيدو...

إنهض من حمأة الطين إلى مجد العلاء.

أنت الآن ندٌّ لجلجامش،

فقد استجبتُ للشيوخ والنبلاء.

(فاصل موسيقي)

(ينهض إنكيدو، يحرك أعضاءه ببطء، يجثو على ركبتيه ويتمطى، يتلفت حوله بدهشة واستغراب، يجيل بصره في أرجاء السماء. تتحول بؤرة الضوء عن آرورو التي تغيب في الظلام).

آرورو: إنهض يا إنكيدو.

إنهض، انهض.

(يتلفت إنكيدو ليعرف مصدر الصوت، ولكنه لا يحدده فهو ينبعث من كل الجهات).

إنهض يا إنكيدو.

إنهض، انهض....

(يقف إنكيدو على قدميه، يرفع ذراعيه، ويدور على نفسه في نشوة لحظات الحياة الأولى. يحرك لسانه ببطء يجرب الكلام)

إنكيدو: إنـ.. إنـ... كيـ... دو... إنكيدو

ثم يصرخ بقوة: أنا إنكيدو... (صوت صدى).

أنا إنكيدو... (صوت صدى) كيدو... و.. و.. و

(يرقص بقوة على موسيقى ذات إيقاع خاص. ويعود إلى الكلام).

أنا إنكيدو،

سيد الفلاة جبار قدير.

لم أولد من رحم امرأة،

لم أنم في مهدٍ ولم أرفل في الحرير.

(يعود إلى الرقص) أنا إنكيدو، فأين مثيلي؟

من يقدر على صدي، وأين شبيهي؟

صنعتني آرورو بإذن السماء

فتبارك الصانع الخلاق،

وتبارك هذا الكون البديع.

(فاصل موسيقي ـ اللحن الرئيسي... يتلاشى)

(موسيقى توحي بجو البراري مؤثرات صوتية لوقع أقدام حيوانات ذات أظلاف وحوافر. إنكيدو يعدو في قطيع الغزلان نحن مورد الماء. وخلف دغل قريب يكمن صيادٌ شاب يرقب بوجلٍ ما يرى).

إنكيدو: أبعدوا أظلافكم عن الماء،

أنا من يشرب أولاً أيها الجمع،

ولا أبالي بعدها إن تعكر النبع.

(صوت غب الماء، ثم أقدام تضرب في البركة بفوضى)

الصياد: رحماك أيتها الآلهة.

(يناجي نفسه) إني أرى، وحقك، أمراً عجباً.

أإنسانٌ أنت أم بهيمة سادرة؟

أم تراني في منام وعيني ساهرة؟

(ينهض إنكيدو والغزلان تدور من حوله)

إنكيدو: شكراً لك أيتها الآلهة،

على كل مِنّة ونعمة غامرة.

أنطقتني ولم أك إلا قبضة من طين،

فعساني أكون من الشاكرين.

الصياد: يجب أن أهرع في التو والآن،

لأبلغ أبي خبر هذا الإنسان أو الحيوان،

عساه يشير بما يفيد قبل فوات الأوان.

إنكيدو: ولكن فيم خلقتُ، لأية غاية!

وإلام أعدو مع القطيع بلا نهاية.

أسمع همسكِ في قلبي هداية،

وقصدكِ غائب عن فهمي، لماذا؟

(الموسيقى السابقة.... وقع أقدام الحيوانات يبتعد، يغيب إنكيدو)

/ستار/

الفصل الثاني

-1-

(اللحن الرئيسي. يخفت تدريجياً، نسمع صوت جلجامش من وراء الستار)

جلجامش: والآن هذه أوامري يا سِنِمَّار

بخصوص معبد إيانا المقدس، المقام المبارك،

مسكن الإله آنو والإلهة عشتار

ستتوهج قبابه كالذهب،

وتزين قممه بصفائح النحاس.

(تُفتح الستارة على المشهد بينما يتكلم سِنِمَّار، معمار أوروك. المكان: قاعة العرش. جلجامش لا يجلس على كرسيه بل يتجول أمامه جيئة وذهاباً. كبير الحجاب عن يمين العرش في وقفته التي عهدناها في مشهد القصر. أمامهما يقف المعمار ووراءه ثلاثة من مساعديه).

سِنِمَّار: مطاع سيدي وأمره فوق الجميع،

سِنِمَّار خير بناء وأفضل معمار.

سيكون لك من معبد إيانا ما شئت،

ومن غيره كل إنجاز بديع وفن رفيع

جلجامش: وسور أوروك الذي أُرسيَ منذ القدم،

أيام الحكماء السبعة، قبل الطوفان.

مزيداً من الرجال إليه، مزيداً من الفتيان،

دعّم الأبراج القديمة وزِد في سماكة الجدران.
أجا ملك كيش عدونا العنيد،
لم ينس هزيمة الأمس، وعن مطلبه لم ينم.
سِنِمَّار: لن نستسلم إلى كيش وسنقهرها بكل سلاح. أوروك صنعة يد الآلهة،
ومعبدها إيانا هبةٌ من السماء،
صاغت أجزاءه يد الآلهة العظام.
أسوارها السامقة تلمس أطراف الغمام،
ومرابعها، إلهنا آنو من وضع لها الأساس.
أنت حاميها يا ابن ننسون الفاتح الغازي
فكيف نخشى أجا وجيشه الباغي.
جلجامش: هيا انطلق يا سِنِمَّار
سأجِدُّ في التطواف على رجالك ليل نهار.
(ينسحب سِنِمَّار ومساعدوه. وعندما تخلو القاعة، يتكلم إنمركار)
إنمركار: سيدي ومولاي.
في الباب صيادٌ فتى،
عنده لك خبر عجيب،
قد رأى في الفلاة مخلوقاً فريداً،
لا يدري أبشر هو أم حيوان،
أم من طينة الآلهة.
جلجامش: أدخله إلينا في التو والحال،
لعله كاذب يروم مسألة،
فبئس حاله وبئس المآل.

إنمركار: (ينادي)

أيها الحراس أدخلوا الصياد.

(يدخل الفتى مذعوراً ويرتمي على الارض أمام جلجامش، ثم ينتصب على ركبتيه)

الصياد: مولاي مليك البلاد.

في أرض تجوالنا ظهر رجل فريد.

أعتى الرجال، اشد بأساً من بهائم الفلاة.

سامق الهامة، فارع القامة،

لا يعرف الناس ولا البلدان.

يرعى الكلأ مع الغزلان،

ويرد الماء مع الحيوان.

رأيته مراراً ولم أجرؤ منه اقتراباً.

ردم حفري التي حفرت،

وقلع مصائدي التي نصبت،

ففرت من يدي طرائد الصيد.

قصدت أبي بالخبر فوجهني إليك،

لأشرح ما رأيت وأقصه عليك.

جلجامش: لعله بهيمة تمشي على قدمين؟

لعله قرد أو سعدان يرتع؟

أم لعلك كنت تهذي عند النبع!

الصياد: يكسو الشعر جسمه وجدائل رأسه

كشأن النساء.

ولكنه رجل وحقك لا أكذب،

لم آت بالبهتان ولم أكُ نائماً أحلم.

إنه ابن البراري وسيدُ أهلها الأعظم.

جلجامش: (ملتفتاً إلى الحاجب)

سآتي به وحق الآلهة،

إنسياً كان أم حيواناً فريداً.

فماذا ترى بشأن ذلك يا إنمركار؟

إنمركار: أرى أن نلجأ إلى اللين،

إن كان بشراً فلن تستميله إلا امرأة

نسوقها إليه فتأتي به مغمض العينين

جلجامش: صدقت، فالحب يُلين الجماد،

يجمع الأحياء ويذُبُّ عن الكون الفساد.

آتنا بكاهنة عشق من هيكل عشتار،

فتصحب الصياد إلى مرابع تجواله.

وعندما يرد ذلك الوحش أو الإنسان،

لشرب الماء مع القطعان،

تنضو ثيابها وتكشف له عن مفاتنها،

فيفيء أياماً إلى دفء أحضانها،

وتنكره بعد ذلك طرائد الفلاة

التي شبت معه.

إنمركار: مطاعٌ أمر سيدي مطاع.

(ينسحب الفتى والحاجب، ويخلو جلجامش إلى نفسه)

جلجامش: محال أن يكون لجلجامش ند

محال أن يكون له مثال.

فلننتظر ما تكشف عنه الغيوب،

وما تُبدي لنا الأيام.

(فاصل موسيقي ـ اللحن الرئيسي)

(لحن يوحي بجو البراري ومؤثرات صوتية. تدخل كاهنة الحب في غلالة بيضاء قطنية تلتف أردانها بليونة، وهي تؤدي رقصة طقسية هادئة. حولها يدور الصياد الفتى في حركة متناغمة معها ـ يؤدى المقطع التالي غناءً إن أمكن)

كاهنة الحب: الحب ملح الأرض، مفتاح السماء.

به يسعَد البشر به يتناسل الأحياء،

من كاهنات الحب أنا، من بنات عشتار

إلهة الجنس وربة الخصب والزرع والنماء.

في هيكلها نحفظ جذوة الحياة مُضرمة الأوار،

عندنا لكل راغب مسرةٌ ولكل قاصد ما يريد.

فهلم إليَّ يا ابن الفلاة، إليَّ أيها الرجل الفريد.

الصياد: ثلاثة أيام قضينا في الطريق،

وثلاثة أخرى عند هذا الماء.

فمتى يقودكَ العطش إلينا،

متى أيها الهائم الغريب.

(تجلس الكاهنة في وضع استرخاء، بينما يذرع الفتى المكان جيئة وذهاباً. لحن البراري السابق. ثم صوت حوافر القطيع من بعيد. يعلو اللحن تدريجياً مع اقتراب جلبة القطيع... يجب إدخال تنويعات جديدة على اللحن، توحي بجو استثارة وترقب واقتراب المجهول).

الصياد: هو ذا آتٍ وحق الآلهة،

(بخوفٍ واضطراب) هو ذا آتٍ ورب السماء

هو ذا يا فتاة البهجة آتٍ آت.

عري صدرك، لا ترددي، حرري ثديك.

هيا اطرحي ثوبكِ، اجذبيه إليكِ.

علمي الرجل الوحش وظيفة المرأة،

فتنكره طرائد البرية التي شبت معه.

(كاهنة الحب تُعرّي ساقها وتكشف عن جزء من كتفها وصدرها وهي في جلستها السابقة)

كاهنة الحب: إمض الآن أيها الفتى،

امض إلى بيتك ودعني معه.

(يفر الفتى مذعوراً بينما تبقى المرأة في استرخاء وهدوء. يدخل إنكيدو، يتوقف مشدوهاً لمنظر المرأة عند النبع، تتلاشى الموسيقى السابقة والمؤثرات الصوتية ليبدأ لحن عاطفي رشيق).

إنكيدو: لستِ من أهل الفلاة، ولا من جنس الآلهة!

(يقترب برغبةٍ وتوجس) بل أنتِ مثلي.

أنتِ من تخيلتُ، ومن فاضت بها أحلامي.

الكاهنة (فاتحةً ذراعيها): هلم إلي، اقترب.

إنكيدو: أنا إنكيدو، فمن أنتِ؟

وأية أقدارٍ ساقتني إليك؟

الكاهنة: أنت الرجل وأنا المرأة

فهلم إلى دفء أحضاني،

لتعرف فيها الحياة وسر البقاء.

(يضع إنكيدو كفيه على كتفي المرأة يتحسس عنقها وصدرها ثم يقع عليها بقوة، تطفأ أنوار الخشبة، ثم تتعاقب بؤرة ضوء على مشهد الحب بألوان متعددة لتظهر مشاهد غير واضحة من التحام الجسدين. ظلام تام للحظات، ثم إضاءة باهتة. المرأة جالسة وإنكيدو أمامها مسنداً رأسه إلى ركبتها. لحن عاطفي)

يدخل الكورس

كورس النساء: ستة أيام وسبع ليال.

قضاها إنكيدو يغترف اللذات.

وفي الحضن الدافئ يستدرك منه ما فات.

أطفأ رغبة الجسم والحسِّ،

ثم تولى يبغي صحبة الأمس،

فولت لرؤيته الغزلان هاربة،

ونفرت منه القطعان تعدو أمامه.

تعثر في جريه خلفها، خارت ركبتاه.

تخاذل جسمه وضاعت قواه،

لكنه غدا واسع الفهم حكيماً.

عاد إلى المرأة قبع عند قدميها،

شاخصاً ببصره إلى وجهها.

(يخرج الكورس ـ لحن منفرد على الناي، تنويع على لحن البرية المستخدم سابقاً)

كاهنة الحب: أيها الغريب الطالع من عمق البراري،

وهبتك جسدي وهامت بك الروح.

ولولا نَذْري وقَسَمي لأبقيتك إلى جانبي

لنهاية الأيّام، لآخر عمري الفاني.

ولكني كاهنة حب أعطي ولا أبقي لنفسي.

إنكيدو (واقفاً): من قبضة طينٍ خُلقتُ في العراء.

لم أولد من رحمٍ، لم أنم في مهدٍ،

لم أرفل في الحرير،

لم تهدهدني أم رؤوم لا،

ولم أرضع من صدرٍ حنون.

فكيف لي بحب النساء،

كيف لي وحق السماء.

(يهدأ ويطرق مفكراً)

عرفتُ الآن كيف يفيء الجسد إلى الجسد

ولكن أنى للروح بمن يواسيها؟

كاهنة الحب: يواسيها ندٌّ لك ولِدٌّ حميم.

يعرف خبيئة نفسك،

وما يجيش به الصدر الكظيم.

حكيم أنت يا إنكيدو وسيد هذي الفلاة.

رعتك الآلهة وأودعت في صدرك المعرفة،

فإلامَ ترعى في القفار مع القطعان؟

تعال معي إلى أوروك المنيعة،

حيث عظيم البأس مليكها جلجامش،
الظاهر فوق جميع الرجال كثور وحشي.
هناك المعبد المقدس مسكن آنو وعشتار،
هناك يحضر الناس دوماً بحلل زاهية،
وكل يوم من أيامهم فرحة واحتفال.
نعم يا إنكيدو الجذل بالحياة.
سأجمعك إلى جلجامش الطرب اللاهي.
إنكيدو: جلجامش. جلجامش!
نعم أيتها المرأة، خذيني إلى جلجامش.
فإن بي توقاً إلى صاحب يفهم دخيلة نفسي،
وخِلٍ يطّلع على ما يجيش به الفؤاد.
خذيني إلى أوروك المنيعة.
حيث عظيم البأس جلجامش،
الظاهر فوق الرجال كثور وحشي.
سأكلمه بجرأة وأبدي له التحدي، فالندّ يُظهر بأسه الندُ،
ولا صحبةَ إلا في التساوي.
كاهنة الحب: رويداً يا إنكيدو رويداً،
لا يأخذك الغرور ولا حب التباهي.
كامل الرجولة جلجامش عظيم البأس.
أكثر منك قوة لا يهدأ في النهار،
وفي الليل لا يأوي إلى سرير

شَمَشْ وإنليل وإيا وهبوه الفهم العميق.

وقبل أن تصل إليه من براريك المترامية،

ستتراءى له في أحلامه.

إنكيدو: خذيني أيتها المرأة، خذيني إليه،

خذيني إلى أوروك.

فلأمر ما خُلقتُ لا لهذي البوادي.

كاهنة الحب: سنمضي في التو والآن،

فالطريق طويلة والوقت قد حان.

ستلتقي بجلجامش،

وستحبه كحبك لنفسك.

سنصل إلى أوروك في ذروة الأعياد

حيث يلتقي الإلهان تموز وعشتار،

في قمة برج المعبد عند مشارف السماء،

فتنتشي الأرض بحبهما ويتفجر الربيع،

حاملاً للأحياء كل خصب ونماء وعطاء.

سيحل روح الإله في جلجامش،

وروح الإلهة في كبرى الكاهنات،

ويلتقي الاثنان على مرأى من الحشد ومسمع.

(يخيم الظلام على المسرح بينما الكاهنة تمسك بيد إنكيدو وتقوده معها. لحظة صمت ثم موسيقى توحي بترقب أمر سيحدث. صوت أنين وهذيان. جلجامش يصرخ. بقعة ضوء على جلجامش الذي يستفيق من نومه مذعوراً).

(صوت أنين وهذيان في الظلام. صوت صرخة، بقعة ضوء على جلجامش الذي يستفيق من نومه مذعوراً)

جلجامش: أأرواحٌ شريرة زارتني أم أطيافٌ حارسة؟

وعبثُ أبالسةٍ هذه الأحلام أم وحي الآلهة؟

(بقعة ضوء أخرى على الربة ننسون تتجلى في قاعة نوم الملك)

ننسون: أيفزع جلجامش من رؤى عابرة؟

وتخيف أطياف المنام مَن قلبه جلمود؟

جلجامش (ينهض واقفاً ويتكلم في ذهول): في رؤى البشر علم الغيوب،

بها تناجينا السماء بها نعرف المحجوب،

ننسون أماه، هاتي قولك فيما رأيت

وبيِّني قصد منامي:

كانت السماء حاشدةً بالنجوم

في ليلة داجية،

وكشهاب آنو الثاقب أحدها انقض عليّ.

رُمت رفعه فثقل عليّ.

حاولت إبعاده فصعب عليّ.

تحلق حوله أهل أوروك.

وبينما رفاقي يسجدون أمامه،

مِلتُ عليه كما أميل على امرأة،

فلان لساعدي وأسلمني قياده.

حملته فوضعته عند قدميك،

فجعلته بنفسك لي نداً.

ننسون: نجم السماء هذا، نظير لك.

رفيق عتي يعين الصديق عند الضيق،

أقوى من في الفلاة ذو بأس عظيم،

متين العزم كشهاب آنو الثاقب.

لقد مِلتَ عليه كما تميل على امرأة،

وهذا في عرف المنام صحبة دائمة،

وصداقة إلى أبد الأزمان قائمة.

جلجامش: في حلم آخر هناك فأس مطروحة،

تحلق حولها الناس في أسواق أوروك.

تدافعت الجموع إليها.

أتيتك بها ووضعتها عند قدميك،

مِلتُ عليها كما أميل على امرأة،

فجعلتها بنفسك لي نداً.

ننسون: إن الفأس التي رأيت، رجل

أقوى من في الفلاة ذو بأس عظيم،

متين العزم كشهاب آنو الثاقب.

لقد مِلتَ عليه كما تميل على امرأة،

وهذا في عرف المنام صحبة دائمة،

وصداقة إلى أبد الزمان قائمة.

(موسيقى هادئة توحي بجو الليل. مما سمعناه في القصر أثناء تجوال جلجامش الليلي).

/ستار/

الفصل الثالث

-1-

(اللحن الرئيسي تفتح الستارة على كورس النساء وكورس الرجال في الوضعية السابقة، الضوء مسلط على صفي الكورس فقط وبقية المشهد معتمة).

كورس الرجال: وفيما جلجامش يشرح لأمه أحلامه،

جاءت المرأة بإنكيدو إلى مساكن الرعاة،

فتجمع الربع حوله كمن يرى آية من السماء،

أو كمن يشهد تجسداً لإله.

وضعوا الخبز أمامه وسكبوا له الجعة،

فحار إنكيدو فيما يرى وعفَّ عن المائدة.

حليب الحيوانات الوحشية كان يرضع،

ويأكل ما تجود به الأرض ولاتمنع.

كورس النساء: كُلِ الخبز يا إنكيدو، إنه عماد الحياة،

وخذ الشراب القوي كعادة أهل البلاد.

كورس الرجال: أكل إنكيدو الخبز حتى الشبع،

وأخذ من الشراب سبعة أقداح،

فانتشى فؤاده وأشرق وجهه.

استحم بالماء وعصب رأسه.

مسح جسده بالزيت فصار رجلاً.

أخذ سلاحه وانطلق يقنص الأسود،

يريح الرعاة من شرها ليلاً.

الكورس المشترك: ودون كثير تلكؤ وانتظار،

مشى وراء المرأة نحو أوروك،

يقوده إليها مصيره المرسوم.

(يختلط الكورسان مشكلان عامة أوروك، وتضيء الأنوار كامل المشهد. بضع درجات تؤدي إلى باب المعبد الضخم، وجزء من سوره يبدو عن يمين ويسار الباب. أهل أوروك في احتفالات الزواج المقدس. هرج ومرج. رقصات ثنائية، ورقصات جماعية في حلقات، رجال ونساء يتعانقون خلفية موسيقية مجنونة).

كورس النساء: ها قد جاءت، ها قد جاءت.

كورس الرجال: ها قد جاء، ها قد جاء.

(ينفصل الكورسان ليصطفا عن يمين ويسار الدرج المؤدي إلى البوابة. يسير جلجامش والكاهنة العليا بتؤدة على إيقاع لحن طقسي خاص. يقفان على الدرجة الأولى ثم يستديران نحو الحفل في وقفة طقوسية).

كورس النساء: أيها العريس الغالي على قلبي،

عظيمة هي مسرتك، حلوة كالعسل.

أيها الليث الغالي على قلبي،

بهية هي طلعتك، ونقية كالتبر.

لقد أسرتني، أقف مرتجفة أمامك.

أيها العريس، آه لو تحملني إلى الخِدر.

لأستمتع بحسنك المهيب وأهبك ملاطفات يدي.

يا حلوي الغالي، آه لو تحملني إلى الخِدر.

أيها الليث، أعلم أين تبتهج روحك،

وقلبك، أعلم أين يفرح قلبك،

فخذ مسرتك مني ونم في حجرتي حتى الفجر.

كورس الرجال: أيتها العروس، أمامك جئت بالعسل.

يا ضياء النجم، أمامك أسكب خمرتي.

جداءً وحملاناً وخبزاً، إليك تقدمتي.

إليك بستاني فهل تخصبين بستاني؟

وها تفاحي ورماني فهل تخصبين لي شجري؟

كورس النساء: لقد جاء بي، لقد جاء بي.

جاء بي إلى البستان.

تموز جاء بي إلى البستان.

قرب شجرة التفاح ركعت كما يليق،

أمام الحبيب القادم بالنشيد.

دفقت الزرع من رحمي،

وضعت الثمار أمامه، دفقت من رحمي.

الكورس المشترك: في الخدر يسكبان الزبد والعسل اللذيذ.

في الخدر يشربان الجعة والنبيذ.

ها هما معاً فلنبتهج بك يا ربيع.

(يختلط الكورسان... هرج ومرج مرة اخرى... يدير جلجامش والكاهنة العليا ظهرهما لصعود الدرج. في هذا الوقت يصل إنكيدو. ينتبه الحشد إلى القادم الغريب، تهدأ حركتهم تدريجياً ويأخذون في التحلق حول إنكيدو).

صوت 1: هل انشقت الأرض عن مارد

أم جاءت السماء بروح شارد؟

صوت 2: كلا وحق الآلهة العظام،

إنه لرجل من لحم ودم.

صوت 3: يشبه جلجامش في بنيته،

أقصر قامة ولكنه أصلب عوداً.

صوت 4: كأني بهما أخَوان،

رضعا معاً حليب ننسون.

صوت 5: لقد ظهر لجلجامش ند

وللبطل القوي الوسيم الآن ضد.

صوت 6: سيدخلان في تنافس دائم،

وتستريح أوروك.

مجموعة أصوات: سيدخلان في تنافس دائم،

وتستريح أوروك.

(جلجامش يقف عند بوابة المعبد بعد أن دفع الكاهنة العليا إلى الداخل).

إنكيدو: جلجامش.

(موسيقى قوية وتأثير صوتي لوقوع صاعقة من السماء، يلي ذلك لحن ذو إيقاع متلاحق)

سليل الآلهة أنت،

وأنا نسل البراري والقفار.

من أجل لقائنا هذا خلقت،

ولأجل هذه الساعة قد جُبلت.

فلتقض الآلهة في أمرنا الآن،

وليكن بيننا حكم القدر.

(بقفزة واحدة يهبط جلجامش درج المعبد وينقض على إنكيدو دون كلمة واحدة، يشتبك الاثنان على إيقاع الطبول. ينقسم الجمهور إلى فريقين تند عنهما أصوات تشجيع وإشفاق. أصوات البطلين أشبه بالزئير تتواصل طيلة الصراع، مؤثرات صوتية لتحطم وتكسر، وما يشبه الهزة الأرضية، ثم سكون تام. قدم جلجامش على ظهر إنكيدو المستلقي على وجهه، وهو يلوي ذراعيه الاثنتين نحو الأعلى، جلجامش في قمة الانفعال يتصبب عرقاً، يسكن تدريجياً على صوت موسيقى هادئة، يترك خصمه ويستدير متجهاً نحو بوابة المعبد ببطء، يقف إنكيدو مخاطباً جلجامش).

إنكيدو: مخلوقٌ فذٌ أنت يا جلجامش.

(بصوت عال متهدج وممتلئ بالعاطفة) حملت بك ننسون البقرة الوحشية،

الحكيمة سيدة المدن الحصينة،

فرأسك مرفوع بين الرجال،

وسلطاناً على البشر،

قد وهبك الإله إنليل.

(تخف الاضواء، بينما ينقسم الحشد مرة أخرى إلى كورسين، يغيب جلجامش خلف بوابة المعبد دون أن يستدير... يخرج إنكيدو)

كورس الرجال: تصارع البطلان كما اشتهت أوروك،

فانتهى الصراع إلى أُلفةٍ وصحبةٍ دائمة،

وحل إنكيدو في القصر أنيساً ومشيراً،

كورس النساء: استراحت أوروك لا لتنافس الخصمين،

بل لمحبة النَدين وتوافق اللِدين،

فالحب يُلين الجماد ويجمع الضدين.

الكورس المشترك: تغير جلجامش، تولى عن ساحات النزال،

أطلق شباب أوروك وعف عن نسائها،

مع صاحبه يمضي أطراف الليل وآناء النهار.

(اللحن الرئيسي، يتحول تدريجياً إلى اللحن المسائي الذي تكرر سابقاً في القصر).

-3-

(الوقت منتصف الليل، المكان غرفة الراحة في القصر، جلجامش يقف عند النافذة متكئاً بمرفقه إليها في حالة تأمل، إنكيدو في وضعية الجلوس يلهو بقوس).

جلجامش: لماذا تغيب الأمور عنا وتخفى،

وهي في وضوح الحق، في جلاء النهار؟

(يلتفت إلى إنكيدو مستعملاً يديه في إشارات معبرة)

جلائل الأعمال في خير البشر،

في قهر الشر في تحدي القدر.

ولكنهم، لعمري، قطيع لا يعرف أنّى المصير،

وأنى التوجه بغير راع يقود المسير،

دعنا نصنع من أجلهم أمراً خطيراً،

تشدو به الأجيال على مر الزمان.

ونرفع لنا اسماً باقياً،

ما بقي الدهر وما دامت الأكوان.

(إنكيدو يلقي عنه القوس ويقف مقترباً من جلجامش بخطى حذرة وئيدة)

إنكيدو: في خاطر سيدي تعبث أفكار طائشة

تقلقل دعة أيامنا الهانية.

جلجامش (يتابع على الوتيرة نفسها): الآلهة خالدون في السماء

والبشر يَقصُر بهم العمر في كل يوم يمر،

وما من مَحيدٍ ما من مفر،

إلا في اجتراح المعجز في خلود الذكر.

(يتحول اللحن المسائي المنساب إلى لحن إيقاعي يتصعد تدريجياً)

إنكيدو: أشم رائحة الأخطار،

أسمع صوت اقتراب الهول.

جلجامش: (مواجهاً إنكيدو)

في غابة الأرز البعيدة،

يعيش خمبابا الوحش الرهيب.

هيا بنا أنا وأنت، هيا بنا نقتله،

هيا نمسح الشر كله عن وجه الأرض.

إنكيدو: أي قول أسمع؟

(ينتفض مبتعداً عن صاحبه) قد كنت أخشى سماع ما أسمع.

تقول غابة الأرز؟

تقول خمبابا؟

أتعرف ما غابة الأرز، ما خمبابا؟

في تجوالي القديم لمحت الغابة إياها.

تتباعد أطرافها فلا يعرف مداها،

سوى إنليل راعيها.

أقام عليها خمبابا حارساً،

يجول أرجاءها كعاصفة الطوفان هادرةً،

من منخره يخرج دخان

ومن فمه شرار نارٍ يتطاير

أنفاسه تحيل الحجارة جمراً

جلجامش: أراك خائفاً من الموت ونحن هنا،

فأين ضاع منك العزم؟

وهل ذهبت حياة القصور

ببأس ابن البراري الجسور؟

سأمضي أمامك في الطريق،

وليناديني صوتك أن تقدم ولا تخف،

فإذا سقطتُ أصنع لنفسي شهرة:

«لقد سقط جلجامش،

صرعه خمبابا الوحش الجسور».

وإذا فتحتُ مسالك الغابة الموصدة،

سأحتطب منها شجر الأرز،

وتتغنى باسمي الأجيال والعصور.

إنكيدو: لتمسك بي الهوة السفلى

إن قصرتُ عن خطوك أو تخليت.

ولكن دعنا نُبلغ شَمَشْ السماوي،

بأمر حملتنا الوشيكة،

فإنه إلهك الحامي ودرعك القديم،

قاهر الظلام عدو الشر نصير البشر.

(يلتفت جلجامش نحو النافذة ويتقدم نحوها مستطلعاً)

جلجامش: الليل يطوي جناحه ويفر،

وجنود الشمس تنتشر عند الأفق.

(يسقط شعاع باهت من شمس الفجر على المكان، بينما يقع جلجامش على ركبتيه أمام النافذة رافعاً ذراعيه نحو الأعلى).

جلجامش: أي شَمَشْ القدير،

إني لداخلٌ أرض الأرز فخذ بيدي،

وقاتلٌ رمز الشر فكن نصيري،

إليك أرفع ضراعتي،

فلتبسط علي حمايتك،

ولتعد بي سالماً إلى مرفأ أوروك،

ولتهدأ بك نفسي المضطربة.

(ضوء باهر يغمر المكان ثلاثاً ثم يخبو)

جلجامش (واقفاً): هي ذي إشارة شَمَشْ

هو ذا إله العدل والحق معنا.

(يتجه نحو الباب صائحاً)

إنمركار، إنمركار

اجمع صناع السلاح في أوروك.

فيصنعوا السلاح تحت أنظارنا،

سيوفاً تليق بخمبابا،

أقواساً وسهاماً ورماحاً.

(خلفية المشهد معتمة، الضوء مسلط على الأشخاص فقط في هذا المشهد كله. يدخل كورس الرجال ويتحلق حول سندان يقوم عليه من يطرق سيفاً هائلاً بمطرقة محدثاً إيقاعاً للموسيقى المرافقة. جلجامش وإنكيدو إلى جانب السندان يقومان برقصة حرب طقوسية. حلقة الرجال تقوم برقصة أخرى حول البطلين. يدخل كورس النساء بالمزاهر والدفوف ويشكل حلقة ثالثة. هدوء تدريجي، تنفتح الحلقتان مشكلتين نصف دائرة مفتوحة نحو المشاهدين، يقوم من بين الرجال من يقلد جلجامش وإنكيدو أسلحتهما، ظلام. بقعة ضوء واحدة على البطلين يعتنيان بهندامهما، بينما يعيد الكورس تشكيل مجموعته من جديد. يتقدم البطلان نحو مقدمة المسرح، الخلفية معتمة كما كانت عند بداية المشهد).

جلجامش: هلمّ أيها الصديق إلى معبد ننسون

ننسون الحكيمة العليمة،

تباركنا وتسدد خطانا بنصحها.

إنكيدو: نعم يا صديق.

إن لم يمُد الخالدون إلينا اليدا.

لصارت أعمالنا وما نأتي به سدى.

(يستدير البطلان نحو مؤخرة المسرح. بقعة ضوء ساطع على ننسون جالسة على عرشها. موسيقى طقسية. ضوء على الكورسين مصطفين عن اليمين وعن اليسار. يخرج من كل صف الشخص الأخير الأقرب إلى العرش، فيشعلان شمعتين كبيرتين أمام ننسون ويقفان في مواجهة المشاهدين. يركع جلجامش وإنكيدو أمام العرش. بينما ينشد الكورسان).

كورس النساء: في ليلة حب مشهودة،

حملت به من مليك بشر،

وهبته من صفات الآلهة الكثير.

وقصرت عن تجنيبه مصير البشر.

كورس الرجال: فانظري يا ننسون الرحيمة،

كيف في داخله يتحرق الإله.

انظري كيف يرنو إلى مراتع السماء،

كيف يصطرع في نفسه الخلود والفناء.

جلجامش: أي ننسون، أيتها الأم العلية.

جئت أخبرك وأنت بما أخبرك عليمة.

إنها رحلة طويلة إلى موطن خمبابا،

وطريق أجهل مسالكها إلى غابة الأرز.

فإلى اليوم الذي فيه أعود،

إلى أن أصل الغابة وأقتل وحشها،

فأمحو من الأرض كل شر يكرهه شَمَشْ،

صلي من أجلي عند شَمَش.

(تقوم ننسون عن كرسيها، تنظر بحنو وإشفاق إلى جلجامش. تقترب كمن يرغب في عناقه، ثم تتماسك، يتحرك عناصر الكورس الواقفون عن يمين وشمال العرش فيحرقون بخوراً من الشمع المشتعل ويضعونه في المبخرة بينما ينشد الكورس المشترك).

الكورس المشترك: دخلت ننسون غرفتها،

وضعت عليها رداءً يليق بجسمها،

وحلية تليق بصدرها.

اعتمرت تاجها وصعدت إلى الشرفات العليا،

وعلى السطح أحرقت بخوراً إلى شَمَشْ.

(تركع ننسون على ركبتيها رافعة ذراعيها نحو السماء)

ننسون: أي شَمَشْ العدالة والحق.

لماذا وهبت ابني قلباً مضطرباً؟

واليوم قد حفزته ليمضي،

في رحلة طويلة إلى موطن خمبابا.

في طريق يجهل مسالكها إلى غابة الأرز؟

لتكن مشيئتك كما تراها،

وإلى اليوم الذي فيه يعود،

إلى أن يصل الغابة ويقتل وحشها،

فيمحو عن الأرض كل شر تكرهه،

لتكن له سنداً ودرعاً،

ولتوكل به أرواح الليل الحارسة.

(يظلم المسرح)

(يضاء المسرح في الخلفية. جانبٌ من سور وبوابة المدينة. موسيقى تُفتتح بالأبواق. جلجامش وإنكيدو عند بوابة السور وأهل المدينة وشيوخها في وداعهما. هرج ومرج. تهدأ الضجة تدريجياً عندما يرفع جلجامش يده، يقف أمامه كورس الرجال مشكلاً مجلس أعيان المدينة. والنساء يقفن بلا نظام)

جلجامش: أصغوا إلي يا شيوخ أوروك.

أريد، أنا جلجامش،

أن أجابه من تروون عنه الأخبار.

أن أصرع خمبابا الوحش الرهيب،

وأفتح مسالك غابته الموصدة،

فاحتطب منها شجر الأرز الثمين،

فتتغنى باسمي الأجيال على مرّ السنين:

«ما أقوى ابن أوروك»

هذا ما سأجعل البلاد تسمعه،

يتردد في كل مكان وآن.

كورس النساء: ما أقوى ابن أوروك،

ما أقوى ابن أوروك.

شيوخ أوروك: فتيٌّ أنت يا جلجامش،

وبعيداً قد حفزك قلبك،

لا تعرف كنه ما انتويت،

قد سمعنا عن شكل خمبابا وغابته،

يجول أرجاءها كعاصفة الطوفان هادرةً،
من منخره يخرج دخان،
ومن فمه شرار نارٍ يتطاير،
أنفاسه تُحيل الحجارة جمراً.
فهلا عدلت عما عزمت.
وبقيت بيننا، لأوروك، لنا.
لقد أصغينا إليك دوماً وأبدا،
والآن دورك أن تصغي أيها الملك.
جلجامش (مخاطباً إنكيدو): ماذا نقول لهم يا إنكيدو؟
أنقول قد خاف جلجامش،
ولما يغادر بعدُ البوابة والأسوار؟
كلا أيها الشيوخ، إرجعوا إلى بيوتكم.
سأصرع خمبابا أو أُقتل دون ذلك.
كورس الرجال: عد إلينا سالماً إذاً.
لا تعتمد على قوتك يا جلجامش،
لتكن عينك مفتوحة وضربتك أكيدة.
دع إنكيدو يمشي أمامك،
فلقد رأى الطريق وسلكه،
حتى مشارف غابة الأرز.
ليهبك شَمَشْ من عنده نصراً،
ويكشف أمام خطوك الطريق.

إنكيدو (يتقدم): أنت الثاني من ورائي

فلنبدأ السفر.

(يخرج البطلان. صرخة حادة تطلقها إحدى النساء ترتمي علـى الأرض في وسط المسرح تحثو التراب على رأسها، حولها تتحلق بقية كورس النساء تنتفض على لحن دفوف ومزاهر إيقاعية. يتوزع كورس الرجال حولهن دون نظام).

النادبة: ويلي... ويلي... يا ويلاه...

غادرنا فالويل لنا

آه...آه

كورس النساء: آه...آه... يا ويلاه

النادبة: من لي من بعدك يا ولداه

ويلي ويلي يا ويلاه

آه...آه

كورس النساء: آه...آه... يا ويلاه

النادبة: من يحمي الدار الثكلى،

من يدفع عنها الأرزاء.

آه آه

النادبة: آه آه يا ويلاه

كورس النساء: آه آه يا ويلاه

(يتابعن الرقص على إيقاع يتصاعد الرقص والنغم حـتى ذروتـه ثم يتلاشـى تدريجياً... يُظلم المشهد).

/ستار/

الفصل الرابع

-1-

(الخلفية معتمة. لحن البراري ممزوج بمؤثرات صوتية لأصوات حيوانات ورياح. بقعة ضوء واحدة تتابع جلجامش وإنكيدو يتحركان على المسرح في رقصة تمثل التطوح في البراري الموحشة، وصيد حيوانات مفترسة. نسمع صوت الكورس المشترك دون أن نراه)

الكورس: بعد عشرين ساعة مضاعفة،

توقفا لبعض الزاد.

بعد ثلاثين ساعة مضاعفة،

توقفا لقضاء الليل.

خمسين ساعة مضاعفة قطعا في كل نهار،

فاجتازا مسيرة شهر ونصف في ثلاثة أيام،

ثم حفرا بئراً قرباناً لشَمَشْ.

(يركن الصديقان إلى النوم، ينهض إنكيدو قبل صاحبه ثم ينتبه جلجامش)

جلجامش: هل ناديتني فانتبهت،

أم لمستني فأفقت؟

أحسّ الشلل في أطرافي،

فهل مر بنا إله؟

آه. كلا إنه حلم،

وإنه لحلم مخيف:

أرعدت السماء واهتزت الأرض.

غاب ضوء النهار وهبط الظلام.

التمع البرق وتوهجت نيران.

انعقدت السحب، أمطرت غباراً.

ثم خبا البرق وتلاشت النار،

وهدأت من حولي الأشياء.

إنكيدو: إنها لرؤيا طيبة أيها الصديق،

وإنه لحلمٌ عظيم.

سنحبط هجوم خمبابا، سنقتله،

سنرمي بجثته في الفلاة.

هيا بنا ننطلق،

فشعاع شَمَشْ قد بدأ ينير

ذرى الأرز القريب،

وها البوابة المسحورة تنادي

منذ القدم فاتحها، فهيا نجيب.

(يهبط الصديقان نحو الغابة. تتسارع الموسيقى في لحنٍ مترقب)

-2-

(يضاء المشهد تدريجياً. يمكن أن يوضع في الخلف تابلو لأشجار الأرز. الكورس منتشر على المسرح على هيئة أشجار. جلجامش وإنكيدو يجولان في المكان في استثارة وانبهار. يستل جلجامش فأسه ويهوي على قاعدة إحدى الأشجار. يهز المكان فجأة صوت خمبابا مع موسيقى عالية، بينما ينتفض الاثنان يحاولان التعرف على مصدر الصوت).

خمبابا: من الذي تجرأ على غابتي،

من مد يده لقطع أشجاري؟

من يا ترى سكب روحه

قرباناً لهذي الأرض الحرام؟

(يظهر خمبابا يسبقه زئيره المخيف. يتقدم إنكيدو خطوتين في محاولة لحماية جلجامش ولكن جلجامش يدفعه نحو الخلف ويواجه خمبابا).

جلجامش: أنا جلجامش سيد أوروك.

تعرفني البلاد طراً

ويرتعش لذكري الملوك.

أقسمت بحياة أمي ننسون،

أن أقطع شجرك،

وأمحو عن الأرض ذكرك.

خمبابا: سنعرف في معمعان القتال

إن كنت حقاً جلجامش سيد النزال،

أم أفّاقاً هان عليه عمره.

(ينقض خمبابا، يلتحم الثلاثة في معركة على إيقاع موسيقى خاصة. أخيراً يُضيّق خمبابا الخناق على جلجامش وإنكيدو حتى يبدو أن الغلبة ستكون له... وهنا يصرخ جلجامش رافعاً يديه نحو السماء).

جلجامش: أي شَمَشْ السماوي

لقد تبعتك وسرت في الطريق المقدرة،

فاحفظ عهدك معي.

(صوت رياح عاتية بينما كورسا النساء والرجال يهتفان على التتابع بأسماء الرياح التي يرسلها شَمَشْ إلى أرض المعركة).

الكورس: الريح الكبرى، ريح الشمال، ريح الجنوب.

ريح الزوبعة، ريح العاصفة، ريح الصقيع.

ريح الإعصار، ريح اللهب.

ثمانية رياح تهب في وجهك يا خمبابا،

فأين تخفي وجهك، من يحميك من غضب

شَمَشْ، ومن يحمينا،

(خمبابا يدور على نفسه وهو يحمي عينيه بيده ويصرخ صراخاً مهولاً)

خمبابا: إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟

أي إنليل، إلهي إنليل...

لم أعرف لي أماً ولا اباً،

أنت الذي أوجدني ورعاني،

فلماذا الآن تركتني...

(ينقض الصديقان ويشلان حركته. تهدأ الموسيقى، خمبابا يستعطف محاولاً مد يده إلى جلجامش)

خمبابا: أطلقني يا جلجامش تكن لي سيداً،

والأشجار التي رعيتها عمري،

سأقطعها وأبني لك منها البيوت.

أطلقني يا سيد أوروك،

(جلجامش يهدأ ويفكر)

جلجامش: دعنا نطلقه يا إنكيدو،

فالعفو من شيم الملوك.

(إنكيدو ما زال في قمة الانفعال)

إنكيدو: إن من لا حصافة عنده،

سرعان ما يأوي إلى الهوة السفلى.

إذا بقي خمبابا على قيد الحياة،

فلن ترى أوروك ثانية،

ولن ترى وجه أمك.

خمبابا: لقد نطقت بالشر ضدي أيها الأجير،

(في ثورة غضب عارمة) فأبشر بغضب من السماء وشر مستطير.

ألا لعنة إنليل تحلُّ على من يستبيح دمي،

ألا لعنة مقيمة أبد الآبدين.

(تثير كلماته حفيظة الصديقين فيرفع جلجامش فأسه ويهوي بها على عنق خمبابا، يليه إنكيدو. يدحرجان الجثة جانباً، ينتصب جلجامش واقفاً، رافعاً ذراعيه نحو السماء والفأس في يمناه)

جلجامش: إليك يا نور العدل والحق

أسكب دم هذي الذبيحة المقدسة.

(بروق ورعود وصوت انقضاض صواعق، موسيقى قوية. يـدور جلجـامش حول جثة خمبابا يلقي فأسه ويصرخ كمن به مس)

جلجامش: أنا جلجامش (صوت صدى...)

أنا جلجامش، قاتل خمبابا

فلتكتبي يا دهور،

بدمه ألا فاكتبي هذه السطور.

(ظلام تام على المسرح تشقه التماعات البرق... تخفت الموسيقى تدريجياً، صمت)

صوت رجل ينادي: جلجامش على أبواب أوروك

صوت امرأة تنادي: جلجامش على أبواب أوروك

(يضاء المسرح، سور أوروك في الخلف... الكورسان يرقصان في حلقتين الواحدة ضمن الأخرى. موسيقى احتفالية)

كورس النساء: عاد إلينا، عاد إلينا، عاد.

يحمل رأس خمبابا عاد.

يحمل خشب الأرز المقطوع.

كورس الرجال: عاد إلينا فغني بذكره يا بلاد.

واهتفي لمليك نقش اسمه

على صفحة الزمن على لوح القدر.

كورس النساء: عاد إلينا، عاد إلينا، عاد

(يدخل جلجامش وإنكيدو، تنفتح حلقتا الكورسين فتحتويهما. تدور الحلقتان على بعضهما بشكلٍ متعاكس، ثم تنفتحان ليخرج منها البطلان إلى زاوية المسرح. يعود الكورس إلى تشكيل نفسه من جديد في مواجهة البطلين وهما ينضوان عنهما السلاح)

الكورس المشترك: غسل جلجامش شعره الطويل.

مسح أسلحته، نضى عنه ثياب السفر.

لبس عباءة وأحاطها بحزام،

أسدل شعر رأسه على كتفيه.

وعندما وضع تاجه على رأسه،

شخصت عشتار العظيمة إلى جماله.

(أثناء الإنشاد تقوم فتاتان بحمل العباءة والحزام ثم التاج إلى جلجامش. بعد أن يكمل جلجامش زينته تظهر عشتار على قمة السور، يرافق ظهورها لحن غامض خاص. تُطفأُ الأنوار. بقعة ضوء على الإلهة وأخرى على جلجامش وإنكيدو)

عشتار: تعال يا جلجامش وكن عريسي.

هبني ثمارك هدية،

كن زوجاً لي وأنا زوجة لك.

سآمر لك بعربة من لازورد،

عجلاتها من ذهب وقرونها من كهرمان،

تعدو بها عفاريت العاصفة جياداً،

ومضمخاً بشذى الأرز تدخل بيتنا.

فإذا دخلت قبلت قدميك المنصة والعتبة،

وانحنى لك الملوك والحكام والأمراء،

يضعون أمامك غلة السهل والجبل.

ستحمل عنزاتك ونعاجك توائم مثنى وثلاث

ويبزُّ حمير الجر لديك البغالا،

وخيول عرباتك تطبق الآفاق شهرة جريها،

أما ثيرانك فلن يكون لها تحت النير نظير.

جلجامش: ما عساني أعطيك لو تزوجتك؟

هل أعطي الزيت لجسدك والكساء؟

هل أقدم الخبز لك أم الغذاء؟

وأنت الغنية المكتفية عن بذلي والعطاء.

وما نصيبي منك لو تزوجتك؟

ما أنت إلا موقد تخمد ناره وقت البرد.

باب متداع لا يحمي من ريح أو عاصفة.

قصر منيف يسحق من يلج إليه.

قار يلوث حامله وقربة تبلل ناقلها.

حفرة يخفي غطاؤها كل غدر.

حجر كلسي يعطي بريق ماس كاذب.

أي حبيب أخلصت له أبدا؟

وأي زوج حفظت له العهد والوِدّا؟

تعالي أفضح لك حكايا عشاقك:

تموز، زوجك الشاب، أسلمته للظلمات،

للهوة السفلى، لعالم الأموات،

فالناس تندبه عاماً إثر عام.

أحببت طائر الشقراق المُرقَّش،

ثم ضربته فكسرت له جناحه.

أحببت الأسد الكامل القوة،

ولكنك حفرت له مصائداً سبعاً.

أحببت الحصان السبَّاق في المعارك،

ولكنك قدَّرت عليه السوط والمهماز.

أحببت راعي القطيع،

الذي نحر في كل يوم لك جدياً.

فمسخته ذئباً تطارده الكلاب.

أحببت إيشولانو بستاني البلح،

الذي أقام لك في كل يوم مائدة،

لكنك مسخته خُلداً يسكن الجحور المعتمة.

أفلا يكون نصيبي منك كهؤلاء؟

(عشتار تصرخ في جنون، ثم ترفع رأسها ويديها نحو السماء)

عشتار: الويل لك يا جلجامش

الويل لمن تجرأ على عشتار.

أبتاه يا رب السماء،

هل سمعت مهانة ابنتك؟

(تتحول بقعة الضوء عن عشتار وعن البطلين وتسلط على الكورس)

الكورس المشترك: عندما سمعت عشتار مقالة جلجامش،

تفجر غضبها وعرجت إلى السماء.

مثلت في حضرة أبيها آنو،

مثلت في حضرة أمها آنتوم:

(يردد الكورسان حوار عشتار وآنو)

كورس النساء(بلسان عشتار)   أبتاه لقد شتمني جلجامش،

أبتاه لقد أهانني وعدد قبائحي.

أبتاه وحقك لأُهلكنَّه،

وأمحو عن الأرض ذكره.

أعطني ثور السماء فيصرع لي جلجامش.

وإلا حطمت بوابة عالم الأموات

فينتشر الموتى في الأرض يأكلون مع الأحياء،

ويتكاثرون حتى تغص بهم الأرجاء.

كورس الرجال(بلسان آنو) لقد جلبتِ على نفسك المذلة يا ابنتي،

إذ دعوته فتمنَّع.

والآن، لو حققتُ لك ما طلبتِ،

لعمَّ الجفاف وحلَّت سبعٌ عجاف.

فهل زرعت قمحاً يُعيل الناس؟

وهل جمعت علفاً يُقيت الماشية؟

كورس النساء(بلسان عشتار) : بذور الحياة في عنقي أمانة.

سأزرع قمحاً يُعيل الناس،

سأجمع علفاً يُقيت الماشية.

أعطني ثور السماء ودع لي ما تبقى.

(موسيقى قوية وصوت خوار ثور. يندفع ثور السماء... تتدافع نساء الكورس صارخات ويتجمعن في زاوية المسرح، بينما يتراكض الرجال أمام الثور هنا وهناك).

كورس النساء: هبط ثور السماء....

ها هو ثور السماء....

في خواره الأول قتل مئة،

فمئتين فثلاثاً.

في خواره الثاني قتل مئة،

فمئتين فثلاثاً.

في خواره الثالث انقض

على إنكيدو.

(يدخل إنكيدو فيشتبك مع ثور السماء يتبعه جلجامش. ينقضّ الثور على إنكيدو الذي يحاول عبثاً الإمساك بقرنيه. يرمي الثور إنكيدو على الأرض بنطحةٍ قوية، ثم يلتفت إلى جلجامش فيرميه أيضاً. ينهض الصديقان في محاولة هجومية أخرى ولكن الثور يرميهما أيضاً. تتكرر المحاولات المخفقة للإطباق على الثور. كورس الرجال يتحرك مع الثور في الانقضاض أو التراجع ويصدر معه خواراً عالياً، بينما كورس النساء يتحرك مع جلجامش وإنكيدو يصدر أصوات الفزع أو الإشفاق. أخيراً يفلح إنكيدو بالامساك بقرني الثور بينما يمسك جلجامش بعجيزته وذيله).

إنكيدو: لقد تفاخرنا بقتل خمبابا،

ولم يك قتله إلا لهواً

وها قد جد الجد يا صديق.

إطعن بين العنق والقرنين،

إطعن وإلا صرنا هزو الساخرين.

جلجامش: جد الجد وأقسمت بأمي ننسون

لأقتلنه وإن غضب الخالدون.

(ينفلت جلجامش ويضرب عنق الثور بسيفه، يخور الثور خواراً عالياً ثم يتهاوى. ترتفع صرخة عالية وتظهر عشتار على السور، تردد نساء الكورس صرخة عشتار ويأخذن في النواح على ثور السماء).

عشتار: ويل لجلجامش.

قد مرغني بالتراب من قتل ثور السماء.

ويلي عليك يا ثور السماء،

ويلي قد مرغني جلجامش بالتراب.

كورس النساء: ويلي ويلي ويلي

ويلي عليك يا ثور السماء

ويلي قد مرغني جلجامش بالتراب.

(ينهض إنكيدو، يلتقط شيئاً من الأرض ويرميه في وجه عشتار صارخاً)

إنكيدو: كفى عويلاً يا امرأة.

لو كان ليد بشر أن تطال إلهة،

لنالك مني مثل الذي ناله.

عشتار (تتابع النواح): ويلي ويلي ويلي،

ويلي عليك يا ثور السماء.

كورس النساء: ويلي ويلي ويلي

(يقطع جلجامش رأس الثور، يضعه على الأرض ثم يسجد وإنكيدو ثلاثاً. يقف جلجامش رافعاً ذراعيه نحو الأعلى)

جلجامش: إليك يا شَمَشْ العلي.

هذه الذبيحة الثانية.

(تختفي عشتار. يعيد الكورس تشكيل نفسه)

كورس الرجال: انتزع إنكيدو فخذ الثور الأيمن،

رماه في وجه الإلهة.

جمعت عشتار منذورات المعبد وبغاياه،

وعلى فخذ الثور أقمن مناحة.

(جلجامش وإنكيدو ينزعان قرني الثور ويتأملانهما بإعجاب ودهشة، بينما يتابع الكورس:)

أما جلجامش فقد جمع الحرفيين

للمشهد العُجاب.

فدهشوا لرؤية القرنين.

وزن واحدهما ثلاثين رطلاً،

وغلاف قشرته إنشان،

سكب فيهما جراراً من الزيت،

قدمهما قرباناً لأبيه لوجال بندا!

ثم جاء بهما زينة لقاعة العرش

(ينهي كورس النساء نواحه مع عشتار ويعود لتشكيل نفسه)

كورس النساء: بماء الفرات غسلا أيديهما،

ثم أخذا بيد بعضهما وسارا.

قادا عربتهما بين الجموع في طرقات أوروك،

فتجمع أهل المدينة على الصفين.

كورس الرجال: من المجيد بين الأبطال؟

من الظاهر فوق الرجال؟

الكورس النساء: جلجامش المجيد بين الأبطال.

إنكيدو الظاهر فوق الرجال.

(يتحرك بعض فتيان الكورس فيحضرون طاولة، وتتحرك فتيات الكورس فيجلبن إليها أطباقاً مثقلة بأنواع الأطعمة. يجلس إلى المائدة جلجامش وإنكيدو ورجال الكورس، بينما تقوم بعض النساء بالخدمة وأخريات بالرقص والغناء. تخفت الموسيقى والأصوات تدريجياً ويظلم المسرح).

/ستار/

الفصل الخامس

-1-

(تفتح الستارة. المسرح مظلم إنكيدو في سريره على يسار المسرح، يتقلب ويصدر أنيناً وصرخات مكتومة. موسيقى غامضة توحي بجو كابوسي)

كورس النساء(بصوتٍ هامس وواضح): ها أنت تحلم يا إنكيدو،

وترى رؤيا صادقة

مجلس الآلهة انعقد

وبشأنك يتداول الخالدون

(أصوات ضخمة ذات صدى تصدر عن مجلس الآلهة يتشاورون)

صوت 1: ها قد التأم مجلس الآلهة الكبار:

آنو وإنليل وإيا وشَمَشْ.

فما نحن فاعلون بشأن هذين المارقين؟

صوت 2: للبشر حدودٌ معلومة،

ولهم أقدارٌ محددةٌ مرسومة.

فمن تطاول منهم أو تجاوز،

حق عليه عقابنا والعذاب.

صوت 3: لقد اقتحما الغابة الحرام.

لقد صرعا خمبابا وثور السماء.

فواحد منهما يجب أن يموت،

من جرَّد جبل الأرز يموت.

كورس الرجال: سيموت إنكيدو.

(يطلق إنكيدو صرخة عالية ويجلس في فراشه وقد اشتدت عليه الحمى. يُسلَّط ضوءٌ باهت على باب الغرفة المصنوع من خشب فاخر).

إنكيدو: لا، لن أموت،

لن أموت، لن أموت.

كفاك هزواً أيتها الآلهة،

كفاك سخرية بأقدار البشر.

(يرفع رأسه)

أتسمعون أيها الأعلون؟

لن يموت إنكيدو.

(يخفض رأسه ويتربع على السرير مرتعشاً يهز رأسه في وضعية التأدب، تتحول الموسيقى الكابوسية إلى لحن حزين).

كيف أموت كيف أموت!!

من قبضة طين في الفلاة نهضت

لم أعرف لي أماً لم أعرف لي أباً.

لم أولد من رحمٍ، لم تهدهدني امرأة.

لم أنم في مهدٍ، لم أعرف الصدر الحنون.

فعلتُ الذي من أجله خُلقت،

فما بالها تدب إليّ المنون،

ولم أقطف من ثمار العمر،

إلا ومضة لاحت كبارق عارض.

(يرفع رأسه نحو باب الغرفة الذي تُركز عليه الإضاءة)

كلمني بغير لسان أيها الباب،

حدثني يا فاقد الجنان

أيَّ شر جلبتَه عليّ، أي مصير؟

من غابة الأرز حملت خشبك

فصنعك المَهَرة لي في نيبور،

ورفعتك أمامي، في كل يوم تذكرة.

بقتل خمبابا، باقتحام الغابة الموصدة

فيا باب، لو كنت أعلم الآتي،

وأن جمالك جالب عليّ المآسي

لحملت فأساً به حطمتك

وألقيت أجزاءك إلى ماء الفرات

(يتوقف كمن يتذكر ثم يتابع)

وأنت أيها الصياد،

يا من قادني من جنة البراري

إلى امتحان البشر،

فلتطالك لعنة شَمَشْ،

فتفر الطرائد من مصائدك،

وتفقد ممتلكك وتخسر بيتك،

وتنهش الأوجاع جسدك.

وأنت يا كاهنة الحب المراوغة،

يا من زينت لي ألق المدينة الزائفة،

تعالي أيتها المرأة أرسم لك قدرك،

وألعنك لعنة مقيمة:

لتكن الطرقات لك سكناً،

وظلال الجدران لك ملجأً،

وشوك الأرض في قدميك حذاءً،

وليلطم خدك الصاحون والسكارى.

(يهدأ إنكيدو قليلاً. تتوقف الموسيقى، لحظة صمت. ثم يسمع في الغرفة صوت الإله شَمَشْ يتكلم بحنوٍ وإشفاق).

شَمَشْ: إنكيدو، إنكيدو.

إنكيدو: (متحفزاً وقد أسند ذراعيه على السرير يجول ببصره في أنحاء الغرفة)

إلهي ومولاي...

لبيك يا شَمَشْ العلي.

شَمَشْ: لماذا تلعن من علمتك أكل الخبز،

طعام الآلهة، وشرب الخمر،

شراب الملوك؟

من كستك ثياباً فاخرة،

وأخذت بيدك إلى أوروك،

فأعطتك جلجامش الرائع صديقاً،

فقبَّل أمراء البلاد الأرض أمامك،

ولهجت ألسنة الناس بذكر فعالك.

وغداً سيندبك جلجامش والشعب طراً.

إنكيدو: بالصدق نطقت يا شَمَشْ القدير،

فخوف الموت أعمى بصيرتي.

شَمَشْ: لا تجزع من الموت يا إنكيدو،

بل تأمل ما جنيت في هذي الحياة.

إنكيدو: نعم، لأمرٍ ما خلق البشر،

ولأمرٍ ما يسعون في هذا العمر.

لهفي على امرئ مُدَّت له السنون،

ولم يحصد سوى جزع المنون.

تعالي يا كاهنة الحب أمسح لعنتي

عنك وأعطي بركتي:

ألا فلتتبوئي مكانتك الحقة،

ويحبك الملوك والأمراء والعظماء،

وتُفتح لك كنوز من ذهبٍ وعقيقٍ ولازورد،

وتدرك الخيرات كل من ذاق عناقك.

(يظلم المكان وتبقى بقعة ضوء على إنكيدو الذي يعود للاستلقاء في فراشه يهذي مجدداً. تعود الموسيقى الكابوسية ثانية. بقعة ضوء على الطرف الآخر من المسرح حيث يظهر رجل مخيف له رأس طائر وفي نهاية أصابعه مخالب حادة، يقوم برقصة طقوسية عنيفة، ثم يتقدم من إنكيدو ممسكاً بجُزته. ينهض إنكيدو منقاداً إلى الرجل الطير نحو وسط المسرح ثم يحاول التملص منه. يدور الاثنان على إيقاع الموسيقى بين شد وجذب وفرار وإمساك إلى أن تخور قوى إنكيدو ويتهاوى مستسلماً للرجل الطير الذي يحمله بين ذراعيه، يظلم المسرح.

ثم يشق المكان صراخ إنكيدو الذي يستفيق من نومه بقعة ضوء على السرير صرخات متتالية تند عن إنكيدو المضطجع.... يدخل جلجامش مسرعاً. إنكيدو ينهض بجذعه في إعياء).

-2-

جلجامش: أي خطبٍ حلَّ بأوروك

أية مصيبة؟

(يتقدم نحو إنكيدو ويمسك بكتفيه المرتعشتين)

ألعنة آلهة غضبي طالتك،

أم أشباحٌ عابثة سكنتك؟

إنكيدو: بل قُضي الأمر يا صديق،

والهوة السفلى من تحت تدعوني.

لقد عقد الآلهة الكبار مجلسهم بشأننا،

وجاءني الحلم بالخبر اليقين.

قال آنو:

لأنهما اقتحما الغابة الحرام،

لأنهما صرعا خمبابا وثور السماء،

واحد منهما يجب أن يموت،

من جرَّد جبل الأرز يموت

فقال إنليل:

سيموت إنكيدو،

ونرد جلجامش لأرذل العمر.

وقال الآلهة إلا شَمَشْ،

سيموت إنكيدو،

سيموت إنكيدو.

ثم رأيت الهوة السفلى عين اليقين.

أرعدت السماء ورددت صداها الأرض.

وبينهما وقفت وحيداً بلا سند.

ظهر أمامي رجل مخيف،

له رأس النسر ومخالبه.

هربت من وجهه، تمكن مني.

وما إن أمسك بجُزتي،

حتى اكتسيت بريش الطيور،

فغاص بي إلى بيت الظلام،

إلى دارٍ لا يرجع منها داخل إليها،

إلى مكانٍ لا يرى أهله نوراً،

لباسهم كالطير أجنحة من ريش،

طعامهم ترابٌ وشرابهم ماءٌ عكر.

جلجامش (جاثياً على ركبتيه): أي أخي، يا أخي الحبيب

لماذا برؤوا ساحتي وأدانوك؟

(يرفع رأسه منتفضاً)

كلا، كلا، ما برؤوني كلا

بل أنزلوا قصاصاً أشد وأدهى.

أخذوا إنكيدو، أخي الحبيب

وزرعوا عمري بالتنهد والنحيب....

(يبكي بصوت عال).

-3-

(يدخل الكورس يدور في حلقتين حول جلجامش وإنكيدو. إنكيدو يتقلب في فراشه وقد اشتد مرضه).

كورس الرجال: استلقى إنكيدو على فراشه يوماً وثانياً،

مريضاً استلقى إنكيدو ثالثاً ورابعاً

كورس النساء: الإنسان مولود للمشقة يا إنكيدو،

كما الجوارح لارتفاع الجناح.

إنكيدو: سهام الآلهة في كبدي تَفري،

والحمى تشرب من روحي.

كورس الرجال: استلقى إنكيدو على فراشه يوماً خامساً،

مريضاً استلقى إنكيدو سادساً وسابعاً.

كورس النساء: من ظلمة الرحم إلى ظلمة اللحد نعدو،

نجري هرباً من الموت ولكنّا إليه نفرْ.

إنكيدو: لقد نلتم جسدي أيها الخالدون،

فلماذا ترجئون اقتناص الروح.

كورس الرجال: استلقى إنكيدو على فراشه يوماً ثامناً،

مريضاً استلقى إنكيدو تاسعاً وعاشراً.

كورس النساء: أيامك امتلأت بالعظائم يا إنكيدو،

وها قد جاءت ساعة الامتحان الكبير.

إنكيدو: في الليل تريعني رؤى الهوة السفلى،

وفي النهار أصرخ وما مَن يجيب رجائي.

كورس الرجال: استلقى إنكيدو على فراشه يوماً حادي عشر،

وثاني عشر وفي الثالث عشر

كورس النساء: اهتزت الظلمة السفلى لاستقبالك،

وقام إليك عظماء سادوا قبلك ثم بادوا.

إنكيدو: جلجامش جلجامش.

قد جاء وقتي وحانت ساعتي،

اقتُلع رجائي وضاقت أحبولة الهلاك

حول عنقي.

مبارك من في ساح القتال يموت،

ولكن يا صديقي لماذا في الخزي أقضي؟

(يتسلل نور الصباح إلى المكان بينما يأخذ جلجامش في ندب إنكيدو. لحن جنائزي)

جلجامش: إنكيدو يا صديقي يا أخي الأصغر.

مع ذوات الذيل قد نشأت،

ومع حيوانات الفلاة.

لتبك عليك، مسالك غابة الأرز.

ليبك عليك شيوخ أوروك المنيعة،

فتردد البراري صوت نواحهم وتبكي.

ليبك عليك الدب والضبع والفهد،

النمر والأيل والأسد والثور والغزال،

وكل وحوش الفلاة تنوح وتبكي.

ليبكِ عليك الفرات النقي.

ليبك عليك شباب ساحات المدينة،

حيث قتلنا ثور السماء.

لتبك عليك كاهنة الحب،

التي مسحتك بالزيت وقادتك إليّ،

لتبك عليك نساء أوروك بكاء الأمهات،

ولتبك عليك عذارى أوروك بكاء الأخوات.

(يحتضن إنكيدو موسداً رأسه بين ذراعيه ويتابع)

أنصتوا إليّ يا شيوخ أوروك، اسمعوني.

إنني أبكي صديقي إنكيدو،

أبكي بحرقة النساء الندابات.

كان البلطة إلى جنبي والقوس في يدي،

المدية في حزامي والترس الذي أمامي.

حلة عيدي، فرحي، فرحي الوحيد.

يا صديقي يا أخي الاصغر،

يا من سابق حمار الوحش وفهد الفلاة.

معاً ذللنا الصعاب ورقينا الجبال.

أمسكنا بثور السماء قضينا عليه.

صرعنا خمبابا ساكن غابة الأرز.

فأي نوم هبط عليك،

فغبت في ظلام لا تسمع كلماتي؟

(يمسك جلجامش وجه إنكيدو بكفيه مذعوراً، يهزه هزاً عنيفاً، يستمع إلى نبض قلبه، ثم يطلق صراخاً عالياً. يتركه ويبتعد عنه وهو ينظر إلى الجثة المسجاة غير مصدق. يدور حوله متمتماً بصوت مكتوم، ثم يزأر)

جلجامش: مات، مات، مات إنكيدو.

مات إنكيدو.

مات إنكيدو فالويل لمن عاش بعده.

كورس النساء: ويلي ويلي ويلي

ويلي عليك يا إنكيدو،

ويلي يا نور البلاد.

ويلي عليك كلما مال الريح

بأعواد القصب،

كلما ترنم شادٍ كلما اهتزت

أوتار الطرب.

كورس الرجال: قد حُمِ القضاء وقضي الأمر،

وإنكيدو يعبر بوابات الهوة السفلى.

ظُلمة بعد ظُلمة إلى قاع السكون.

فلنواره القبرَ يا جلجامش،

لأن الجسد المكشوف عذاب للروح.

(يعود جلجامش إلى إنكيدو يضمه بقوة)

جلجامش: كلا... لن تأخذوا أخي.

سأبكي عليه حتى يفيق،

سأبكي وأُبكي البلاد معي،

عسى من بكائي عليه يفيق.

كورس النساء: ويلي ويلي ويلي

ويلي عليك يا إنكيدو

ويلي يا زين الرجال

كورس الرجال: ستة أيّام وسبع ليال

بكى جلجامش أخاه الصغير

بكى عسى من بكاءٍ عليه يفيق.

كورس النساء: ويلي ويلي ويلي

ويلي عليك يا إنكيدو

ويلي يا زين الرجال

كورس الرجال: ستة ايام وسبع ليال

بكى جلجامش أخاه الصغير

وفي اليوم السابع، يا لهوله، يا للهول.

(موسيقى قوية مفزعة، جلجامش يصرخ صراخاً متواصلاً وهو يحدق في وجه إنكيدو. يتراجع مذعوراً لا يكف عن الصراخ)

جلجامش: الدود، الدود، إنه الدود.

دودة على وجهك يا إنكيدو،

دودة على طلعة الأمس البهية.

(يبكي) إنك لميت حقاً، ميت ميت،

ميت حقاً، ميت ولن تعود.

(يقف يتجول في المكان وهو يتمتم)

ميت يا إنكيدو ميت.

وأنا، أنا حي حي.

ولكن ألن يصيبني إن متُّ

الذي أصابك؟

الدودة أقوى من ثور السماء،

أعتى من خمبابا الرهيب.

تأتي علينا لا تنجدنا أفعالنا،

تأتي علينا لا تميز بين عظيم ووضيع.

(يصرخ رافعاً يديه نحو السماء)

أيتها الآلهة المطمئنة في السماء،

أجيبي إن كنت تحيرين الجواب،

فجلجامش لن يموت.

إذا لم يعرف لماذا الحياة وفيمَ الفناء.

(يخرج من الباب لا يلوي على شيء. موسيقى طبول قوية ثم سكون يليه لحن حزين)

كورس الرجال: وارى جلجامش أخاه الثرى.

ثلاثة أيام بكى وأبكى الورى،

ولآلهة الظلام قدم القرابين وصلى.

وفي ليلة دهماء غاب عنها القمرْ،

غادر القصر وحيداً فلا خبر ولا أثرْ،

يبحث عن أوتنابشتييم الحكيم،

الذي نال الخلود من دون البشر،

يسأله عن سر الحياة والموت.

قنص الضواري وبلحومها اغتذى،

وقتل الأسود وبجلودها اكتسى،

لا يثنيه شيء عما عقد عليه العزم

وما انتوى.

كورس النساء: ويلي ويلي ويلي

ويلي عليك يا إنكيدو

ويلي عليك يا جلجامش.

/ستار/

الفصل السادس

-1-

(تُفتح الستارة على مشهد سلسلتين غريبتين من الجبال بينهما وهدة منخفضة تحتضن فوهة واسعة أشبه بفوهة بركان خامد. يجب أن يـوحي المـشهد بطبيعـة غريبة أقرب إلى طبيعة سطح القمر. عن يمين الخشبة يقف الكورس وعن اليسار مدخل كهف يخرج منه رجل نصفه إنسان ونصفه عقرب تتبعه زوجتـه. موسـيقى إلكترونية غريبة).

الكورس: غرباً غرباً غرباً غرباً،

واصل جلجامش رحلته قدماً.

يتبع درب خيول النارْ،

تعدو، تسحب مركبة الشمسِ.

بلغ حدود الأرض القصوى،

ورأى ما لم يره إنسان.

بلحوم الوحوش اغتذى،

وبجلود الآساد اكتسى،

حتى بلغ آخر الأبعادْ،

وصل جبال ماشو الراسية،

تناطح ذروتها أذيال السحابْ،

وتحرس للشمس بوابة الغيابْ.

يقوم عليها البشر العقاربْ،

يستقبلون ركب الشمس الغاربْ،

فيشيعونه حتى حدود الظلامْ،

ليسير في باطن الأرض إلى صحو الأنامْ.

الرجل العقرب: تعالي فانظري مشهداً عجبا!!

أمن عالم البشر هذا القادم إلينا

أم من عالم الأرواح الهائمة؟

المرأة العقرب: ليس من عالم الإنسان، لا

وليس روحاً معذبة هائمة.

ثلثاه، ويا للعجب، إله وثلثه إنسان

فأي أمر ساقه إلينا؟

أي قدر؟

(يقع بصر جلجامش على العقارب وهي تخرج من كهفها، فيتملكه الخوف، ثم يتماسك ويتقدم منها بخطاً ثابتة حذرة)

الرجل العقرب: من أنت أيها الغريب

الضارب في متاهات الأرض؟

من طينة الآلهة جبلتك،

ومن شقاء البشر.

فلأي أمر قطعت المفازات إلينا

وكيف جزت المسافة المستحيلة؟

جلجامش: أنا جلجامش ملك أوروك

وإني لباحثٌ عن أوتنابشتيم الحكيم

ملك شوريباك قبل الطوفان،

الذي نال الحياة الخالدة من دون البشر،

فأسأله عن سر الحياة والموت.

المرأة العقرب: سمعت بك الدنيا يا جلجامش،

ودانت لك البلاد والعباد.

رفعتَ أسواراً وهياكل وقصوراً،

وكانت لك جناتٌ من نخيلٍ وأعناب

فلماذا ناطحت السماء،

لماذا تشبهت بالأربابْ؟

وها أنت تجري هرباً من الموت،

لتلقاه رابضاً عند كل زاوية وبابْ.

جلجامش: سألت ولم أجد في نفسي

ولا عند الآلهة الجواب.

وغرني سراب خلود الذكر

حتى رأيت الدودِ لم يسمع

بذكر الرجال.

لا فرق عنده بين عزيز قوم وبهيمة.

الرجل العقرب: سراب ما تبحث عنه يا جلجامش

سراب سراب...

والطريق إلى أوتنابشتيم محالة على البشر.

تمتد عبر مسار الشمس السفلي،

من فوهة الغروب إلى فوهة الشروق

وتنتهي عند حافة السكون والظلمات،

حيث مياه الموت لا تقود إلى مكان،

ولا تسمح لقادمٍ بالإيابْ.

جلجامش: كذا فليكن.

في الحر والقر سأمضي،

في التنهد والنحيب وصرير الأسنان،

لألقى بغيتي أو أهلك في تلك المسالك.

فلتفتح أمامي الآن بوابة الجبال

الرجل العقرب: إمض يا جلجامش،

ها بوابة الجبال مفتوحة أمامك

ولتعد بك قدماك سالماً ديارك.

(يتقدم جلجامش، يظلم المشهد. موسيقى إيقاعية تتصاعد تدريجياً، يشكل الكورس ما يشبه النفق الطويل الذي يغذ جلجامش السير خلاله. بروجكتور إضاءة جانبي يلقي حزمة ضوء أفقية على المشهد).

الكورس المشترك: عبر جلجامش بوابة الجبال،

هبط من فوهة الغروب،

ومضى عبر طريق الشمس.

كورس النساء: قطع ساعة مضاعفة...

كورس الرجال: ظلامٌ دامسٌ وما من شعاع،

لا يرى من أمامه ولا من خلفه.

كورس النساء: قطع ساعتين مضاعفتين...

كورس الرجال: ظلامٌ دامسٌ وما من شعاع،

لا يرى من أمامه ولا من خلفه.

كورس النساء: قطع ثلاث ساعات مضاعفة...

كورس الرجال: ظلامٌ دامسٌ وما من شعاع،

لا يرى من أمامه ولا من خلفه.

كورس النساء: قطع اربع ساعات مضاعفة...

كورس الرجال: ظلامٌ دامسٌ وما من شعاع،

لا يرى من أمامه ولا من خلفه.

كورس النساء: قطع خمس ساعات مضاعفة...

كورس الرجال: ظلامٌ دامسٌ وما من شعاع،

لا يرى من أمامه ولا من خلفه.

كورس النساء: قطع ست ساعات مضاعفة...

كورس الرجال: ظلامٌ دامسٌ وما من شعاع،

لا يرى من أمامه ولا من خلفه.

كورس النساء: قطع سبع ساعات مضاعفة...

كورس الرجال: ظلامٌ دامسٌ وما من شعاع،

لا يرى من أمامه ولا من خلفه.

كورس النساء: قطع ثماني ساعات مضاعفة...

كورس الرجال: ظلامٌ دامسٌ وما من شعاع،

لا يرى من أمامه ولا من خلفه.

كورس النساء: قطع تسع ساعات مضاعفة...

كورس الرجال: ظلامٌ دامسٌ وما من شعاع،

لا يرى من أمامه ولا من خلفه.

كورس النساء: قطع عشر ساعات مضاعفة...

كورس الرجال: ظلامٌ دامسٌ وما من شعاع،

لا يرى من أمامه ولا من خلفه.

(تتداخل أصوات الكورسين ويتسارع الإيقاع ثم يتباطأ تدريجياً وتخفت الأصوات).

الكورس المشترك: في الساعة الأخيرة

لاحت لعينيه بشائر النور

قطع المرحلة الأخيرة

عمَّ الضياء.

(تتوقف الموسيقى فجأة. لحظة صمت وظلام).

(يعيد الكورس تشكيل نفسه ليتوزع على شكل أشجار تتدلى منها ثمار من عقيق ولازورد. تعود الإنارة إلى المشهد. موسيقى سحرية، خلفية المشهد سماء زرقاء وبحر ساكن بلا موج. خلف الأشجار وعلى مستوى أعلى من الأرض تجلس سيدوري فتاة الحان في وضعية ساكنة تماماً على شرفة حانة الآلهة).

الكورس المشترك: وجد نفسه أمام جناتٍ

أشجارها من حجرٍ كريم

كان شجر العقيق يحمل عناقيده

عنباً، فتنة للناظرين.

وشجر اللازورد ينوء بثمره

تفاحاً ورماناً ومن كل

ما تشتهي العيون.

جنات تكشفت عن جنات،

حتى انفتح أمامه مشهد

البحر العظيمْ.

ماء بلا موجٍ بلا صخبٍ،

ماءٌ بلا مدٍ بلا جزرِ

هناك حان الآلهة

وهناك سيدوري ساقية الخالدين

(في هذه الأثناء يتجول جلجامش بين الأشجار مدهوشاً يتحسس بيده الثمار المدلاة. بعد انتهاء خطاب الكورس ينفضُّ مشكلاً نفسه من جديد. سيدوري التي كانت جامدة في وقفتها تتحرك الآن، تهلع لرؤية جلجامش فتدخل إلى الحانة وتغلق بابها. يتقدم جلجامش نحوها).

جلجامش: أي سيدوري يا فتاة الحان.

لماذا تواريتِ؟

ولماذا أوصدتِ بابك دوني؟

سيدوري: لستَ إلهاً، لا

ولستَ من طينة البشرْ!

فأي أمرٍ رمى بكَ إلينا

أي قدرْ؟

جلجامش: أنا جلجامش ملك أوروك.

من فتح غابة الأرز وصرع خمبابا،

من أمسك بثور السماء وقتله،

من قنص الآساد في مسالك الجبال،

وعبر المهالك في الطريق،

إلى أقاصي الأرض هذه.

سيدوري: إذا كنتَ حقاً جلجامش

الذي فتح غابة الأرز وصرع خمبابا،

الذي أمسك بثور السماء وقتله،

الذي قنص الآساد في مسالك الجبال،

وعبر المهالك كلها،

إلى أقاصي الأرض هذه.

فلماذا ترتدي جلود الآساد؟

لماذا تهيمُ على وجهك

في البراري والقفار؟
(يتحول اللحن الغامض السابق إلى لحن حزين)
جلجامش: كيف لا أرتدي جلود الآساد
كيف لا أهيمُ على وجهي
في البراري والقفار؟
صديقي، أخي الأصغر
الذي سابق حمار وحش البراري
وفهد الفلاة،
إنكيدو، أخي الأصغر
الذي سابق حمار وحش البراري
وفهد الفلاة،
أدركه مصير البشرْ
وفارقني إلى غير رجعة.
معاً قهرنا الصعاب ورقينا مسالك الجبال،
أمسكنا ثور السماء وقتلناه،
اقتحمنا الغابة على خمبابا وصرعناه.
صديقي الذي أحببته جماً
ومضى معي عبر المهالك،
إنكيدو الذي أحببته جماً
ومضى معي عبر المهالك،
أدركه مصير البشر،

وفارقني إلى غير رجعة.

ستة أيام وسبع ليال بكيت عليه،

حتى سقطت دودة من أنفه،

فانتابني هلع الموت حتى هُمت في البراري،

صديقي الذي أحببت صار إلى تراب.

خلع فؤادي موته،

فهُمت في كل حدبٍ وصوبٍ

أهرب من موتي.

(تنويع على اللحن السابق خاص بالمقطع التالي)

سيدوري: إلى أين تمضي يا جلجامش،

وإلى اين تسعى بك القدم؟

الحياة التي تبحث عنها لن تجدها،

لأن الآلهة لما خلقت البشر

جعلت الموت لهم نصيباً

وحبست في أيديها الحياة.

فعد أدراجك يا جلجامش، عد إلى بلدك.

املأ بطنك وافرح ليلك ونهارك.

اجعل من كل يوم عيداً،

وارقص لاهياً عن كل هم وغم.

أُخطر بثياب نظيفة زاهية.

إغسل راسك واستحمّ بالمياه.

دلل صغيرك الذي يمسك يدك،

وأسعد زوجك بين أحضانك،

فهذا نصيب البشر في هذه الحياة.

جلجامش: أبعدَ جريي البراري وتطوافي،

أقنع من الغنيمة بالإياب،

وأسند رأسي في باطن الثرى

أنام الدهور الآتية؟

لا. لا يا سيدوري.

وكما أرى وجهك الآن،

سيكتب لي ألا أرى الموت الذي أخاف.

فأين الطريق إلى أوتنابشتيم؟

كيف التوجه إليه كيف المسير؟

لأقطعن البحر إن استطعت وإلا

سأبقى هائماً في البراري دهري.

سيدوري: ابداً لم تُعبر هذي المياه،

ولم يقدر قادمٌ على قطع هذي البحار.

فيها مياه الموت تصد الطامحين،

فمن أي مكان تعبر يا جلجامش؟

وماذا تفعل إن وصلت مياه الموت؟

شَمَشْ العلي وحده يقطعها،

وأورشنابي ملاح أوتنابشتيم.

لديه رُقمٌ من حجر عليها صور سحرية،

تشق بمركبه الأخطار،

بين جزيرة سيده النائية

وأطراف هذه الديار.

وإنه اليوم هنا يحتطب،

وأكاد أسمع صوت فأسه

في الغابة القريبة،

فإن استطعت فاعبر معه،

أو فعد إلى وطنك سالماً.

جلجامش (يصرخ): أورشنابي، أورشنابي

(يتجه راكضاً نحو أورشنابي الذي يحتطب، وفي طريقه يدوس على رُقمٍ فخارية فتتحطم تحت قدميه).

أورشنابي: أنا أورشنابي ملاح أوتنابشتيم

فمن أنت؟

جلجامش: أنا جلجامش ملك أوروك.

من فتح غابة الأرز وصرع خمبابا.

من أمسك بثور السماء وقتله.

من قنص الآساد في مسالك الجبال،

وعبر المهالك كلها

إلى أقاصي الأرض هذه.

أورشنابي: إذا كنت حقاً جلجامش

الذي فتح غابة الأرز وصرع خمبابا،

الذي أمسك بثور السماء وقتله،

الذي قنص الآساد في مسالك الجبال

وعبر المهالك كلها

إلى أقاصي الأرض هذه.

فلماذا ترتدي جلود الآساد؟

لماذا تهيمُ على وجهك

في البراري والقفار؟

(اللحن الحزين الذي رافق في السابق المقطع الذي سيتكرر أدناه)

جلجامش: كيف لا أرتدي جلود الآساد،

كيف لا أهيم على وجهي

في البراري والقفار؟

صديقي، أخي الأصغر

الذي طارد حمار وحش البراري

وفهد الفلاة.

إنكيدو، أخي الاصغر

الذي طارد حمار وحش البراري

وفهد الفلاة

أدركه مصير البشر

وفارقني إلى غير رجعة.

معاً قهرنا الصعاب ورقينا مسالك الجبال.

أمسكنا بثور السماء وقتلناه.

اقتحمنا الغابة على خمبابا وصرعناه.

صديقي الذي أحببته جماً

ومضى معي عبر المهالك،

أدركه مصير البشر،

وفارقني إلى غير رجعة.

ستة أيام وسبع ليال بكيت عليه

حتى سقطت دودة من أنفه،

فانتابني هلع الموت حتى همت في البراري،

صديقي الذي أحببت صار إلى تراب.

خلع فؤادي موته،

فهمتُ في كل حدبٍ وصوبْ

أهرب من موتي.

فأين الطريق إلى أوتنابشتيم؟

كيف التوجه إليه، كيف المسير؟

لأقطعن البحر إن استطعت وإلا

سأبقى هائماً في البراري دهري.

أورشنابي: قد حالت يداك دون عبورك،

قد كسرْتَ الصور الحجرية

التي تقود سفينتي عبر مياه الموت.

فما عسانا نفعل الآن؟

جلجامش: لن نعدم وسيلة

لن يعدم جلجامش وأورشنابي

الوسيلة.

أورشنابي: إسمع يا جلجامش.

(بعد تفكير): سنجَذِّف بأيدينا حتى حدود

مياه الموت،

حيث لا تجذيف ينفع ولا ريح تدفع،

ويسكن المركب فلا وصول ولا إياب،

وحيث لمس الماء يأتي بالموت الزؤام.

هناك سندفع المركب بأعمدة طوال،

نركزها في قاع الماء فندفع ثم نخليها.

هيا اهبط الغابة يا جلجامش

واحتطب مئة وعشرين مُردِيّاً

أطول من صارية السفينة،

شذبها، إطلها بالقار وائتنا بها.

(المشهد التالي يجب أن ينفذ بطريقة استعراضية فائقة الزخم والقوة من حيث الموسيقى والإيقاع والرقص التعبيري. يمكن استخدام عناصر بشرية إضافية لإضفاء الروعة على المشهد. بدائل التنفيذ متعددة، إذ يمكن أن تشكل مجموعتان من الكورس تحملان جلجامش وأورشنابي على هيئة مركب بينما يشكل البقية كتلة بشرية ترتفع وتنخفض موحية بالماء، أو يمكن أن يشكل الكل كتلة متماوجة تحت أقدام جلجامش وأورشنابي اللذين يجذفان في مياه الموت).

الكورس المشترك: أمسك البلطة بيده،

واستل سيفه من حزامه،

هبط أعماق الغابة

فاحتطب مئة وعشرين مُردِيًّاً

أطول من صارية السفينة،

شذبها وطلاها بالقار فجاء بها،

وانطلق المركب في مياه السكون.

كورس النساء: جذف جذف يا جلجامش،

قد صرت قريباً من منية قلبك.

ها أتعابك ها أوجاعك

قد آلت لمنال المقصد

كورس الرجال: جذف جذف جذف

جذف جذف يا جلجامش

(يمكن ترداد المقطعين السابقين وفق ما يتطلبه المشهد واللحن المرافق)

كورس النساء: ها قد صرت محاطاً بمياه الموت.

إضغط بعزم يا جلجامش...

خذ مُردِيًّاً أولاً،

لا تلمس يدك مياه الغدر.

خذ مُردِيًّاً ثانياً وثالثاً ورابعاً،

لا تلمس يدك مياه الغدر.

خذ مُردِيًّاً خامساً وسادساً وسابعاً،

لا تلمس يدك مياه الغدر.

خذ مردياً يا جلجامش

خذ مُردِيَّاً يا جلجامش

(تهدأ الموسيقى ويخفت الإيقاع وتتباطأ حركة المشهد. يخلي الراقصون تدريجياً الجهة اليسرى من المسرح ليظهر عليها أوتنابشتيم وزوجته يقفان على صخرة عند الشاطئ).

أوتنابشتيم (يستطلع الأفق) : لقد فقدتْ سفينتي رُقمها السحرية،

وغريبٌ قادمٌ من أعماق الأرض

يدفعها نحو شاطئنا.

الزوجة: مُرسَل الشعر أشعث أغبر،

يكتسي جلود الآساد،

ولكني ألمح في وقفته كبرياء الآلهة.

(يحط جلجامش وأورشنابي عند الصخرة. يتقدم جلجامش بتؤدة ينظر بإنشداه إلى أوتنابشتيم)

أوتنابشتيم: من الغريب الهابط في الأرض الحرام؟

من قطع البحار الغادرة

من جاز المسافة المستحيلة؟

جلجامش: أنا جلجامش ملك أوروك.

من فتح غابة الأرز وصرع خمبابا.

من أمسك بثور السماء وقتله.

من قنص الآساد في مسالك الجبال،

وعبر المهالك كلها

إلى أقاصي الأرض هذه.

أورشنابي: إذا كنت حقاً جلجامش

الذي فتح غابة الأرز وصرع خمبابا،

الذي أمسك بثور السماء وقتله،

الذي قنص الآساد في مسالك الجبال،

وعبر المهالك كلها

إلى أقاصي الأرض هذه.

فلماذا ترتدي جلود الآساد؟

لماذا تهيم على وجهك

في البراري والقفار؟

جلجامش: كيف لا أرتدي جلود الآساد

كيف لا أهيم على وجهي

في البراري والقفار؟

صديقي، أخي الأصغر

الذي طارد حمار وحش البراري

وفهد الفلاة.

إنكيدو، أخي الأصغر

الذي طارد حمار وحش البراري

وفهد الفلاة.

أدركه مصير البشر،

وفارقني إلى غير رجعة.

معاً قهرنا الصعاب ورقينا مسالك الجبال.

اقتحمنا الغابة على خمبابا وصرعناه.

أمسكنا بثور السماء وقتلناه.

صديقي الذي أحببته جماً،

ومضى معي عبر المهالك،

أدركه مصير البشر،

وفارقني إلى غير رجعة.

ستة أيام وسبع ليال بكيت عليه

حتى سقطت دودة من أنفه،

فانتابني هلع الموت حتى همت في البراري.

صديقي الذي أحببت صار إلى تراب.

خلع فؤادي موته

فهُمت في كل حدبٍ وصوبْ

أهرب من موتي.

وها أنذا آت إلى أوتنابشتيم الحكيم.

هُمت أطوف البلاد والأصقاع،

عبرت شعاب الجبال العصية،

سرت في نفق الشمس السفلي،

قطعت بحاراً لم يقطعها إنسان.

قتلت وحوش البرية وطرائد الفلاة،

بلحومها اغتذيت وبجلودها اكتسيت.

أنهك التطواف جسدي وسكن الوجع مفاصلي،

ومن النوم العذب لم أنل إلا كفافاً.

فهل يكتب لي ألا أرى الموت الذي أخافه

أوتنابشتيم: هل نشيد بيوتاً لا يدركها الفنا

وهل نعقد ميثاقاً لا يصيبه البلى؟

هل يقتسم الأخوة ميراثهم ليبقى دهرا

وهل ينزرع الحقد في الأرض دواما؟

هل يرتفع النهر ويأتي بالفيض أبدا

وهل ينحبس المطر عاماً فعاما؟

فمنذ البدء لا تُبدي الأمور ثباتا

كذا فالحياة تقوم إذا الممات رفيقا.

جلجامش: لم أجد في كل ذلك مغزى،

ولم أر فيه معنى،

ولم أقطع الأرض طولاً وعرضا

لأرجع في آخر التطواف

إلى أول المبتدا.

أتيت إلى أوتنابشتيم الحكيم

الذي نال الخلود من دون البشر،

فأسأله علّه يُصْدقني الخبر،

عن سر الحياة والموت،

وكيف نكسر من حولنا طوق القدر؟

أوتنابشتيم: منذ البدء يا جلجامش،

منذ أن خلق الآلهة البشر.

وزعوا الآجال على الخلق،

وحبسوا في أيديهم الحياة

جلجامش: ولكنك بشر مثلي

تعيش من أقدم الأزمان

من أيام ما قبل الطوفان!!

فقل لي كيف صرت مع الآلهة

كيف نلت الخلود؟

(يتحرك أوتنابشتيم من مكانه إلى وسط المسرح يفكر ويتذكر تفاصيل الحكاية التي سيرويها لجلجامش عن الطوفان العظيم. خلال المشهد الطويل التالي يقوم أوتنابشتيم بسرد القصة يعينه الكورس في أداء بعض مقاطعها وفق ما يرتئيه المخرج. يجب القيام بالدور بحيوية فائقة وباستخدام أقصى طاقات الممثل على الحركة والتعبير. كما يجب على الموسيقى أن ترافق تتابع الأحداث بدقة).

أوتنابشتيم (موسيقى خلفية خافتة): سأكشف لك يا جلجامش

سراً من أسرار الآلهة،

وأطلعك على ما لم يعرفه إنسان.

شورياك، مدينة أنت تعرفها،

قامت منذ القدم على ضفة الفرات.

تقدمت بها الأيام وشاخت،

فسد أهلوها ونسوا أربابهم.

فاجتمع الآلهة الكبار،

وقرروا طوفاناً لا يُبقي ولا يذر.

إنليل كان المحرض. وإنليل كان المنفذ.

أما إيا فقد نقل لعبده أوتنابشتيم

خبر الطوفان الآتي العظيم.

أتاني فيما يشبه المنام وقال لي

كورس الرجال: قوض بيتك وابن سفينة.

أُترك مملكتك وأنقذ حياتك.

أُهجر متاعك خلص نفسك.

إحمل في السفينة بذرة كل مخلوق حي.

وما إن لاحت تباشير الصباح،

حتى دعوت إليَّ الصُناع من كل صوب.

عصيراً وخمراً وزيتاً بذلت لهم،

فعملوا معي أطراف الليل وآناء النهار.

وفي اليوم السابع أنزلتها في الماء،

فغاص في الفرات ثلثاها،

واستقرت في انتظار الموعد المشؤوم.

حملت إليها كل ما أملك.

كل ما أملك من فضة حملت إليها،

كل ما أملك من ذهب حملت إليها،

كل ما استطعت من بذور الحياة

حملت إليها:

أهلي وأقاربي، طرائد البرية ووحوشها

من كل زوجين اثنين،

وكل صاحب حرفة وصنعة.

ثم حدثني ربي شَمَشْ،

وعين لي شارة ووقتاً:

كورس الرجال: «عندما يرسل حدد من علاليه وابلاً مدمراً في المساء،

أُدخل الفلك واغلق عليك الأبواب»

حل الموعد وأزفت الساعة...

(تبدأ الموسيقى بالارتفاع) أرسل حدد في المساء وابلاً مدمراً.

قلبتُ وجهي في السماء عرفت الإشارة،

دخلت السفينة وغلّقتُ الأبواب،

وللملاح بوزو آموري أسلمت قيادها.

وما إن لاحت تباشير الصباح،

حتى علت الأفق غيمة كبيرة سوداء،

يجلجل في أعماقها صوت حدد،

يسبقها نذيراه عبر السهول والبطاح.

فانفتحت كوى السماء وسالت مدراراً،

(موسيقى قوية ومؤثرات صوتية توحي بانهمار المطر وصفير الرياح).

وانفتحت كوى المياه السفلى،

ففاضت الأرض بمخزونها

وبلغت ثورة حدد تخوم السماء.

ثارت العاصفة أحالت كل نور

إلى ظلمة.

عمي الأخ عن أخيه،

وحُجب أهل الأرض عن أهل السماء.

حتى الآلهة ذعرت من هول الطوفان،

هرب جميعهم صُعُداً يرتقون السموات،

سماءً فسماء حتى سماء آنو السابعة،

لجؤوا إلى جدارها الخارجي يرتعدون.

والعاصفة تأتي على الأحياء،

والطوفان يبتلع البشر.

صرخت عشتار كامرأة في المخاض،

ناحت سيدة الآلهة بصوتها العذب

كورس النساء: " لقد آلت إلى طينٍ تلك الأيام القديمة،

لأني نطقتُ بالشر في مجمع الآلهة،

فكيف نطقتُ بالشر في مجمع الآلهة،

كيف أمرتُ بالبلية تحصد شعبي

تفني من وهبتهم، أنا، الميلاد؟

وها هم يملؤون البحر كالأسماك الطافية"

بكت عشتار وأبكت معها الآلهة،

تهالكوا وانحنوا ينتحبون

ستة أيام وسبع ليال،

والعاصفة تُعْول وسيول الماء

تطغى على الأرض،

وفي اليوم السابع هدأ البحر وسكنت

العاصفة وتراجع الطوفان.

(موسيقى هادئة حزينة)

فتحتُ النافذة فسقط النور على وجهي.

نظرتُ إلى البحر كان الهدوء شاملاً،

وقد آل البشر إلى طين،

فتهالكت أبكي وأنتحب.

ثم تطلعت في كل الاتجاهات مستطلعاً

حدود البحر.

في نهاية الآفاق العميقة

ظهرت رؤوس الجبال.

ثم حملت الأمواج السفينة فاستقرت

على جبل نصير.

أمسك الجبل السفينة ستة أيام،

وعندما حل اليوم السابع،

أتيتُ بحمامةٍ وأطلقتها،

طارت الحمامة بعيداً ثم عادت إليّ،

لم تجد مستقراً لقدمها فعادت.

ثم أتيت بسنونو وأطلقته

طار السنونو بعيداً ثم عاد إليّ،

لم يجد مستقراً لقدمه فعاد.

ثم أتيت بغرابٍ وأطلقته،

طار الغراب بعيداً ولم يعد،

حام وحط وأكل ولم يعد،

فأطلقت الجميع للجهات الأربع،

وذبحت أضحية أشعلت تحتها النار

أشعلت تحتها القصب الحلو وخشب

الأرز والآس.

فتشممت الآلهة الرائحة الزكية،

وتجمعت على الأضحية كالذباب.

وعندما وصلت عشتار العظيمة،

رفعت عقدها الكريم وقالت:

كورس النساء: «أيها الحاضرون.

هذا عقدي اللازوردي، أرفعه علامة.

سأذكر هذه الأيام ولن أنساها.

تعالوا جميعاً إلى الذبيحة إلا إنليل،

لأنه دونما تروٍ أرسل الطوفان،

وأسلم شعبي للدمار».

عندما أتى إنليل ثارت ثائرته وصاح غاضباً:

كورس الرجال: «هل نجا أحدٌ من البشر؟

ألم نقرر إهلاك الجميع؟"

فقال ننورتا مخاطباً إنليل:

كورس الرجال: "عند إيا وحده الجواب"

فقال إيا مخاطباً إنليل:

كورس الرجال: "أيها المحارب أيها الحكيم بين الآلهة

كيف أرسلت هذا الطوفان دون تروّ؟

لو أنك حَمّلتَ الآثم إثمه،

وحاسبت المعتدي على عدوانه،

لما صرنا إلى ما نحن فيه الآن.

لو أرسلت بدل الطوفان أسوداً جائعة،

لو أرسلت بدل الطوفان ذئاباً ضارية،

لو أرسلت بدل الطوفان المجاعة الفاتكة،

لأنقصت عدد البشر ولم تقطع دابرهم.

وبعدُ، فلستُ من أفشى سر الآلهة،

لقد أوحيتُ لأوتنابشتيم حلماً

لم يخطئ بحكمته معناه،

فاعقد أمرك بشأنه الآن».

فصعد إنليل إلى السفينة،

وأصعدني معه وزوجتي.

جعلنا نركع ووقف بيننا،

وضع يديه على رأسينا مباركاً وقال:

كورس الرجال: «ما كنتَ قبل اليوم إلا بشراً فانياً

يا أوتنابشتيم

ولكنك منذ الآن ستغدو وزوجك

مثلنا خالدين

وفي أقاصي الدنيا عند فم الأنهار

ستعيشان»

ثم أخذوني وأسكنوني في هذا المكان

(لحظة صمت يلتفت بعدها أوتنابشتيم إلى جلجامش)

والآن يا جلجامش

من سيدعو مجلس الآلهة إلى

الاجتماع من أجلك،

فتجد الحياة التي تبحث عنها؟

جلجامش: أمي ننسون وثلثاي إله

فلماذا أقضي كأني بشر؟

أوتنابشتيم: إذن، هلمَّ إلى امتحان

يُظهر فيك صفة الإله،

وتقفز فوق شرط البشر.

هلمَّ امتنع عن النوم

ستة أيام وسبع ليال،

وبعدها لكل حادث حديث

(يجلس جلجامش قرب صخرة على عجيزته متربعاً وظهره منتصب).

جلجامش: ليكن ما تشاء سأمكث هنا،

فاعلمني إذا انقضى ربع القمر.

(لحن مسائي يوحي بالغروب، يمكن استعمال البوق أو الناي. بينما جلجامش يغالب النوم، ثم يميل جزعه إلى الصخرة ويغرق في نوم عميق).

أوتنابشتيم: انظري إلى الرجل القوي الباحث

عن الحياة،

لقد داهمه النوم كعاصفة مطرية.

الزوجة: أيقظه بلمسة،

وليعد بأمان من حيث أتى.

أوتنابشتيم: الخداع من طبع البشر.

سيقول أنه ما سها

إلا لطرفة عين عابرة.

تعالي فاخبزي له رغيفاً

لكل يوم ينامه،

وحزي بقربه على الصخر علامة.

الكورس المشترك: فخبزت له أرغفة وضعتها عند رأسه،

ولكل يوم نامه حزت على الصخر علامة

كورس الرجال: خبزت له رغيفاً أولاً،

وحزت على الصخر علامة.

كورس النساء: خبزت له رغيفاً ثانياً،

وحزت على الصخر علامة.

كورس الرجال: خبزت له رغيفاً ثالثاً،

وحزت على الصخر علامة.

كورس النساء: خبزت له رغيفاً رابعاً،

وحزت على الصخر علامة.

كورس الرجال: خبزت له رغيفاً خامساً،

وحزت على الصخر علامة.

كورس النساء: خبزت له رغيفاً سادساً،

وحزت على الصخر علامة.

الكورس المشترك: وقبل خبز الرغيف السابع.

لمسه أوتنابشتيم فأفاق

(يهز أوتنابشتيم جلجامش برفق فيصحو متطلعاً حواليه).

جلجامش: لم يكد يغلبني النعاس

حتى عاجلتني بلمسة

أوتنابشتيم: لقد خبزنا لك رغيفاً

لكل يوم نمته،

ووضعنا على الصخر علامة.

فعُدَّ علاماتنا يا جلجامش،

عُدَّ أرغفتك المسها شمها،

ينبئك واحدها عن قدم أيامه.

(لحن حزين)

جلجامش: أواه يا أوتنابشتيم

ماذا أفعل أين أسير؟

لقد تسلل البلى إلى أطرافي

وسكنت المنية في أعضائي،

وحيثما قلبت وجهي أجد الموت.

(يضع رأسه بين يديه وينخرط في البكاء بينما يتحدث أوتنابشتيم إلى الملاح)

أوتنابشتيم: لينبذك المرفأ يا أورشنابي،

وليبرأ منك هذا الشاطئ.

أما الرجل الذي قدته إليّ،

يغطي جسده الشعر الطويل،

وتخفي قامته المهيبة جلود الحيوان،

فخذه إلى مكان الغسل،

ليغسل شعره الطويل فيطهر.

ولينفض عنه جلود الحيوان،

ويظهر جمال جسده،

وليعط بعد ذلك ثوباً

يستر عريه.

وإلى أن يصل وطنه،

إلى أن يلقي عصا الترحال،

لتبق ثيابه جديدة لا تنم عن قِدم.

(يأخذ أورشنابي بيد جلجامش يتحركان مطرقين. بينما تتحدث الزوجة مخاطبة زوجها).

الزوجة: لقد أتعب جلجامش نفسه

في الوصول إلينا وأضناها،

أفلا نعطيه شيئاً يحمله إلى بلاده؟

(يتوقف جلجامش لسماعه الحديث ويستدير إليهما)

أوتنابشتيم (بعد هنيهة من تفكير): لقد أتعبت نفسك يا جلجامش

في الوصول إلينا وأضنيتها،

فماذا نعطيك تحمله إلى بلادك؟

اسمع. سأبوح لك بأمر خبيء،

وأطلعك على سر من أسرار الآلهة.

في قاع البحر تحت هذه الصخرة،

هناك نبتة تشبه الشوك،

بها يستعيد الشيخ شبابه،

وتطيل في عمره.

فإذا جنت يداك تلك النبتة

وجدت حياة جديدة.

(يندفع جلجامش دون تردد نحو الصخرة ويقفز إلى الماء. يظلم المسرح تماماً. ضوء على الكورس في طرف المسرح).

كورس النساء: لما سمع جلجامش خبر النبتة،

ربط إلى قدميه حجراً ثقيلاً،

وهبط غائصاً إلى الأعماق.

هناك رأى النبتة السحرية،

أقبل عليها، وخزته أدمت يديه،

اجتثَّها، حل عن قدميه الحجر الثقيل

فأعاده الماء إلى الشاطئ.

وهناك قال لأورشنابي:

كورس الرجال: إنها لنبتة عجيبة يا أورشنابي،

بها يستعيد الإنسان قواه.

سأحملها معي إلى أوروك،

وأعطيها للكهول يقتسمونها،

وأدعوها رجوع الشيخ إلى صباه.

ولسوف آكل منها ايضاً،

فأعود إلى شبابي إذا لاحت كهولتي.

كورس النساء: بعد عشرين ساعة مضاعفة

توقفا لبعض الطعام.

بعد ثلاثين ساعة مضاعفة

توقفا لقضاء الليل.

فرأى جلجامش بركة ماء بارد،

نزل فيها واستحم بمائها.

فتشممت أفعى رائحة النبتة،

تسللت خارجة من الماء وخطفتها،

وفيما هي عائدة، تجدد جلدها.

(بقعة ضوء على جلجامش وأورشنابي، يغيب الكورس، يضاء المسرح تدريجياً، موسيقى حزينة. جلجامش جالساً يبكي).

جلجامش: لمن أضنيت يا أورشنابي يديَّ،

ولمن بذلتُ دماء قلبي؟

لم أجنِ لنفسي نعمة ما،

بل لحيَةَ التراب جنيت النعمة.

(يهدأ، ثم يرفع رأسه متأملاً)

أتدري يا أورشنابي....

عندما مددت يدي لقلع النبتة

جاءني خاطرٌ بألا أفعل ذلك

وعلمت بأني لن آكل منها.

في قاع البحر ألقى إيا

رب الأعماق، في قلبي كلمات

لعلها لم تكن سوى كلماتي

لا أدري.

فعندما نكدُّ وراء سؤال

يأتينا الجواب في كشف مباغت،

فنحار في أصله وفصله

(ينهض ويسير الهوينى يتبعه أورشنابي)

الموت حقٌ يا أورشنابي،

ولكن الحياة حقٌ أيضاً.

فإن لم نقبل الموت

لا نستطيع أن نقبل الحياة.

أتدري يا أورشنابي

إن الإنسان مفضلٌ على الآلهة؟

مفضلٌ لأنه يموت،

لأن عليه أن يفعل الكثير

قبل أن يمضي.

لقد حُكم عليه بالامتحان الكبير

وعليه أن يتعلم كيف يعيش،

وعليه أيضاً أن يتعلم كيف يموت.

أتدري يا أورشنابي....

لقد تركتُ أوروك وأهلها،

ولم أكن في الحقيقة إلا باحثاً عنها وعنهم

وها أنذا عائدٌ إليهم

فبهم ومعهم سأحيا

وبينهم سأموت.

(يتحرك الاثنان وظهرهما للجمهور، بينما تخفت الأضواء، ظلام، يختفيان. إضاءة خفيفة. يدخل الكورس ويصطف عن اليمين وعن الشمال بشكل متقابل).

الكورس المشترك: بعد عشرين ساعة مضاعفة توقفا للطعام،

وبعد ثلاثين ساعة مضاعفة توقفا لقضاء الليل.

وعندما وصلا أوروك المنيعة،

قال له جلجامش، قال لأورشنابي

(في هذه الأثناء يعود جلجامش وأورشنابي إلى المنصة، يتقدمان في مواجهة الجمهور جلجامش يسير في ثقة واطمئنان. وموسيقى حيوية توحي بالبهجة، يتوقفان. يجيل جلجامش بصره يتفحص عن بعد سور أوروك).

جلجامش: أي أورشنابي، هذه مدينتي،

وهذه أسوارها التي بنيتُ.

هلمَّ اقترب.

اعلُ سور أوروك، امشِ عليه

المس قاعدته، تفحص صنعة آجره.

أليست لبناته من آجرٍ مكين

والحكماء السبعة من وضع له الأساس؟

(ينضم الاثنان إلى الكورس الذي يشكل نفسه في مواجهة الجمهور. تعود الموسيقى إلى اللحن الذي ابتدأت به المشهد الأول)

الكورس: هو الذي رأى كل شيء إلى تخوم الدنيا.

هو الذي عرف كل شيء وخبر كل الأمور.

سيد الحكمة الذي سبر أعماق الوجود.

مضى في سفر طويل وبرَّحه الترحال.

عبر بحار الموت إلى حيث تشرق الشمس،

وجال أصقاع الأرض بحثاً عن الحياة.

رأى أسراراً خافية وعرف أموراً ماضية،

فجاءنا بنبأ عن أزمان ما قبل الطوفان

هل مثله من ملك في أي وقتٍ، في أي مكان؟

(تتصاعد الموسيقى بينما تهبط الستارة ثم تخفت وتتوقف)

انتهـــى

صدر للمؤلف

1- **مغامرة العقل الأولى**: دراسة في الأسطورة ــ سورية وبلاد الرافدين ـ الطبعة الثانية والعشرين 2016.

2- **ملحمة جلجامش**: الطبعة الرابعة 1988.

3- **لغز عشتار**: الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة ـ الطبعة الخامسة عشر 2016.

4- **الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم**: هل جاءت التوراة من جزيرة العرب؟ الطبعة السادسة 2016.

5- **دين الإنسان**: بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني ـ الطبعة الثامنة 2016.

6- **جلجامش**: ملحمة الرافدين الخالدة ـ الطبعة السابعة 2016.

7- **الأسطورة والمعنى**: دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية ـ الطبعة السابعة 2016.

8- **آرام دمشق وإسرائيل**: في التاريخ والتاريخ التوراتي ـ الطبعة الخامسة 2016.

9- **كتاب التاو تي تشينغ**: إنجيل الحكمة التاوية في الصين ـ الطبعة الخامسة 2016.

10- **الرحمن والشيطان**: الثنوية الكونية ولاهوت التاريخ في الديانات المشرقية ـ الطبعة السادسة 2016.

11- **تاريخ أورشليم**: والبحث عن مملكة اليهود ـ الطبعة الرابعة 2016.

12- **مدخل إلى نصوص الشرق القديم**: الطبعة الثالثة 2016.

13- **الوجه الآخر للمسيح**: موقف يسوع من اليهودية ـ مقدمة في الغنوصية المسيحية ـ الطبعة الثالثة 2016.

موسوعة تاريخ الأديان (تحرير ومساهمة) في خمسة مجلدات:

14- المجلد الأول: الشعوب البدائية والعصر الحجري.

15- المجلد الثاني: الشرق القديم.

16- المجلد الثالث: اليونان وأوروبا قبل المسيحية.

17- المجلد الرابع: الشرق الأقصى.

18- المجلد الخامس: الزرادشتية، المانوية، اليهودية، المسيحية، الطبعة الثالثة 2016.

19- **طريق إخوان الصفاء**: المدخل إلى الغنوصية الإسلامية ـ الطبعة الثالثة 2016.

20- **الإنجيل برواية القرآن**: الطبعة الثالثة 2016.

21- **ألغاز الإنجيل**: الطبعة الثانية 2016.

22- **أساطير الأولين**: القصص القرآني ومتوازياته التوراتية ـ الطبعة الثانية 2016.

23- **الله والكون والإنسان**: نظرات في تاريخ الأفكار الدينية ـ الطبعة الأولى 2016.

صدر له بالإنكليزية:

1- دراسة بعنوان:

Jerusalem in the Age of Judah Kingdom

نُشرت في كتاب من تحرير الباحث الأميركي توماس .ل. تومبسون شارك فيه عدد من المؤرخين والآثاريين وصدر عن دار T&T Clarkعام 2003 تحت عنوان:

Jerusalem in History and Tradition

2- دراسة بعنوان:

The Faithful Remnant and the Invention of Religious Identity

نُشرت في كتاب من تحرير الباحث البريطاني كيث .و. وايتلام شارك فيه عدد من الباحثين في تاريخ وآثار فلسطين وصدر عن جامعة Sheffield في بريطانيا عام 2013 تحت عنوان:

The politics of Israel's Past

منشورات دولية:

صدر له بالتعاون مع الباحث الصيني الدكتور شيوه تشينغ قوه كتاب بعنوان: لاو تسي، عن دارالنشر باللغات الأجنبية/بكين، وهو تطوير لكتابه السابق كتاب التاو تي تشينغ.

يُصدر قريباً في بكين:

- كتاب المحاورات لكونفوشيوس، ترجمة عن الانكليزية ومراجعة على النص الصيني من قبل شيوه تشينغ قوه.

- كتاب منشيوس، ترجمة عن الانكليزية ومراجعة على النص الصيني من قبل شيوه تشينغ قوه.